الطبعة الوحيدة المشروعة

تصدر بالعربية في دمشق والإنكليزية في نيويورك بآن واحد

POWER AND TERROR

نعوم تشومسكي

القوة والإرهاب

جذورهما في عمق الثقافة الأميركية

ترجمة

إبراهيم يحيى الشهابي





بسم الله الرحمن الرحيم

القوة والإرهاب

جذورهما في عمق الثقافة الأميركية

Power and Terror

القوة والإرهاب: جذورهما في عمق الثقافة الأمريكية = Power and Terror \ نعوم تشومسكي ؛ تحرير جون جنكرمان، تاكي ماكازو؛ ترجمة إبراهيم الشهابي.- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣.- ١٨٠ص؛ ٢٠سم.

١-٣٢٧,١ ت ش و ق ٢- ٣٠٣,٦ ت ش و ق ٣- العنوان

٤- العنوان الموازي ٥- تشومسكي ٦- جنكرمان

٧- تاكي ماكازو ٨- الشهابي

طبع بإذن حصري خاص بدار الفكر - دمشق

من دار سيفن ستوريز - نيويورك

Seven Stories press
New york

نعوم تشومسكي

القوة والإرهاب

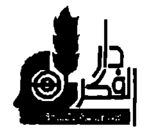
جذورهما في عمق الثقافة الأميركية

تحرير

جون جنكرمان   تاكي مساكازو

ترجمة

الدكتور إبراهيم الشهابي



الرقم الاصطلاحي: ١٦٩٢,٠٣١
الرقم الدولي: ISBN:1-59239-157-5
الرقم الموضوعي: ٣٢٠
الموضوع: العلوم السياسية
العنوان: القوة والإرهاب
جذورهما في عمق الثقافة الأميركية
تأليف: نعـوم تشـومسـكي
تحرير: جون جنكرمان – تاكي مساكازو
ترجمة: الدكتور إبراهيم يحيى الشهابي
الصف التصويري: دار الفكر – دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية – دمشق
عدد الصفحات: ١٨٠ صفحة
قياس الصفحة: ١٢ × ٢٠سم
عدد النسخ: ١٥٠٠نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق–سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ – ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
e-mail: info@fikr.com



الطبعة الأولى
صفر ١٤٢٤هـ
نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م
تصدر بالعربية في دمشق
وبالإنكليزية في نيويورك في وقت واحد

POWER AND TERROR

Post-9/11 Talks and Interviews

NOAM CHOMSKY

Edited by John Junkerman
and Takei Masakazu

Seven Stories Press, New York

Little More, Tokyo

This volume is published in association with the theatrical release of *Power and Terror: Noam Chomsky in Our Times*, a film by John Junkerman, produced by Siglo, Ltd., Tokyo; Yamagami Tetsujiro, producer. Distributed in North America by First Run Features. *www.firstrunfeatures.com*

First published as *Noam Chomsky*, by Little More, Tokyo, September 2002, in association with the release of the original Japanese version of the film (Japanese title: *Chomsky 9.11)*. The present English-language edition, *Power and Terror: Post-9/11 Talks and Interviews*, was slightly revised in December 2002 and January 2003.

Cover Design: Greg Ruggiero

Cover Photo: Afghan girls watch a U.S. Army 101st Airborne 3-187 "Bravo" soldier take cover during a "sensitive site exploitation" (SSE) mission on July 23, 2002, in the town of Narizah in southeastern Afghanistan. The three-day mission, intended to deny sanctuary to Al Qaida and Taliban fighters in villages along the Pakistan-Afghanistan border, resulted in the capture of several weapons caches and one Afghan man detained for questioning. (Scott Nelson/Getty Images)

ISBN: 1-58322-590-0

Printed in

9 8 7 6 5 4 3 2 1

المحتويات

كلمة الناشر

يصدر هذا الكتاب في ظروف بالغة القسوة، إثر سقوط بغداد الثاني في مطلع القرن الحادي والعشرين على يد بوش (الابن)، الذي يعيد إلى الذاكرة العربية والإسلامية على الفور، سقوطها الأول في القرن الثالث عشر على يد هولاكو، ويطرح التساؤلات المؤلمة:

ما الفرق بين بوش وهولاكو؟

ما مدى التقدم الذي حققته الإنسانية بين السقوطين اللذين تفصل بينهما ثمانية قرون؟!

أكان تقدم الإنسان محصوراً في تطوير الآلة الحربية من السيف والرمح إلى أسلحة الدمار الشامل، ليكون الإنسان أشد فتكاً وأكثر فساداً وسفكاً لدماء أخيه الإنسان؟!.

فماذا عن قيم العدالة والمساواة والحق والخير؟!

ما فلسفة القوة؟! ما مسوغات استخدامها؟!

ألم يستطع الإنسان أن يستحدث وسيلةً غير العنف تكون أنجع لفض النزاعات وحل المشكلات؟!

ألم تقنعه الحروب العالمية التي خاضها والمآسي الإنسانية التي خلفتها؛ بأن العنف يعقد المشكلات ويؤجج الصراعات ويوغر الصدور، أكثر من أن يحلها؟!

أين ذهبت المنظمات الدولية، والمؤسسات الإنسانية التي أرسى الإنسان قواعدها مستفيداً من تجاربه القاسية للحد من نزعات التفرد والتسلط ودعاوى التميُّز العنصري والاصطفاء العرقي؟!

هل آثر الإنسان العودة إلى الغاب، والانكفاء إلى شِرعته، بعد أن قطع أشواطاً كبيرة في الابتعاد عنه؟

هل نجحت الشياطين في إغوائه وإثنائه عن المضي قدماً في طريق كدحه إلى الله، والتحرر من لوثة الشر والفساد وسفك الدماء؟!

نعوم تشومسكي؛ عالم اللسانيات الشهير، والمعارض

الأميركي العنيد، والناشط في الدفاع عن حقوق الإنسان، كلِّ إنسان، على الرغم من أن المقابلات معه التي أثمرت هذا الكتاب كانت سابقة على الحدث، فإنها كانت وثيقة الصلة به، منذرة بقرب وقوعه، فاضحة لدوافعه النفطية الذرائعية، المتسترة بأقنعة الديمقراطية، وحقوق الإنسان، ونزع أسلحة الدمار الشامل، محللة أدق تحليل لنزوع السياسة الأميركية نحو التفرد والتسلط والاستعلاء والسيطرة، وإساءة استخدام القوة بتكثيفها وتركيزها وتسخيرها لخدمة مصالحها الأنانية، غير عابئة بالآخرين ومواجعهم ومعاناتهم، وتوطينِ القيم وربطها بالمصلحة، فلا يكون للعدالة والحرية والمساواة وسائر قيم الحق والخير قيمة إلا حين تخدم المصالح الأميركية، ولا يكون الظلم والعدوان وسفك الدماء البريئة مستهجناً إلا إذا ارتُكب في أميركا أو كان موجهاً ضد مصالحها.

نعوم تشومسكي، بحسه الإنساني المرهف، يحفر حول جذور فلسفة القوة والتفرد لدى الأميركيين، التي تتجلى الآن في احتلالهم منابع النفط في الخليج، مثلما تجلت في تشجيعهم المستمر للأقوياء على إرهاب الضعفاء، كلما كان ذلك في مصلحتهم، كالذي فعلوه في نزاع الصين مع

اليابان، والروس مع الشيشان، والأتراك مع الأكراد، وإسرائيل مع العرب.

ويتابع تشومسكي الحفر في الأعماق متسائلاً عن أصل وجوده في أميركا: «لم أنا جالس هنا؟» مجيباً على الفور «لأن بعض المتعصبين الأصوليين جاؤوا من إنكلترا وبدؤوا بإبادة السكان المحليين ليحلوا محلهم»، ليكشف كيف استطاعت لعبة رعاة البقر (الكاوبويز) أن ترسخ ثقافة (الحقُّ للقوة) في الضمير الأميركي.

إن **الناشر**، وهو يؤمن بثقافة (القوةُ للحق) وحتمية قوانين الفطرة (البقاءُ للأصلح) و(الباطل مهما تمادى لا بدَّ زائل)، وهو يرى في الوقت نفسه صوت الضمير الإنساني يتنامى ويعلو في أميركا وخارجها، فإنه يشارك المؤلف تفاؤله بمستقبل الإنسان، وحتمية نجاحه في سعيه للتشبث بالقيم الإنسانية العليا.

مدخل

ارتفعت وتيرة حياة نعوم تشومسكي المكبلة بالبرامج والمواعيد عدة مستويات من الشدة إثر الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر (أيلول). ففي الشهور التي تلت تلك الهجمات ألقى أحاديث علنية كثيرة جداً، وأجرى مقابلات لاحصر لها؛ وكان العديد منها مع وسائل الإعلام الأجنبية التي تنظر إليه على أنه واحد من حفنة صغيرة من المفكرين الأمريكيين المعارضين لرد فعل إدارة بوش العسكري العدواني على الهجمات.

انطلاقاً من قناعته الثابتة يكرر تشومسكي آلاف المرات مقولته بأننا لانستطيع مخاطبة إرهاب الضعفاء ضد الأقوياء دون مواجهة «الإرهاب الشديد، إلى حد لايوصف، الذي يمارسه الأقوياء ضد الضعفاء». ولكن قول تشومسكي المُعزَّز بدراسات متزايدة للحالة التاريخية، وبعدد كبير من الوثائق والتحليلات، لاقى آذاناً صماء في واشنطن وفي وسائل الإعلام الرئيسة، ولكنه وجد صدى لدى جمهور المستمعين الواسع في الولايات المتحدة وخارجها، الذي ينظر إلى تشومسكي بوصفه صوت العقل والضمير الذي مازال يتردد منذ عقود من الزمن.

وصل صوت تشومسكي إلى اليابان، كذلك، حيث أقيم، على هيئة ترجمة لكتابه ٩-١١، ذي العنوان الفرعي باللغة اليابانية (أمريكا ليست مؤهلة للانتقام!) والذي دُفع إلى الطبع

والنشر في آخر شهر نوفمبر (تشرين ثاني). وبوحي من هذا الكتاب شرع أحد المنتجين في شركة سينمائية يابانية بوضع خطط لإنتاج فيلم وثائقي حول تشومسكي ومنظوره فيما يتعلق بالإرهاب والقوة الأمريكية. وما هذا الكتاب سوى وليد لذلك الجهد.

حصلنا على مدخل سريع إلى حياة تشومسكي المفعمة بالأعمال عندما تحدثنا إليه أول مرَّة حول التوثيق في مطلع يناير من العام ٢٠٠٢. وأبدى استعداده للعمل معنا في هذا الفيلم، كما قال، ولكن الحيّز المتوافر في برنامج مقابلاته لم يكن إلا في مايو (أيار). وفي هذه الأثناء سيقوم برحلة لحضور الندوة الاجتماعية العالمية في بورتو أليغر (Porto Alegre) في البرازيل؛ وإلى تركية ليكون شاهداً في محاكمة ناشره التركي؛ وإلى كولومبيا (Colombia)، وليقضي أسبوعاً في كاليفورنيا في شهر مارس (آذار). لقد رحب بالتحاقنا به وتصوير هذه الأحاديث العامة وسواها من الأحاديث التي قدمها.

قررنا أن نصور في كاليفورنيا حيث دُعي تشومسكي ليلقي خطابين في اللسانيات في موسم المحاضرات في يوسي-باركلي (Uc-Barkeley). أقام تشومسكي، أيضاً، أثناء الأيام الخمسة التي قضاها في منطقة الخليج (Bay Area) ساعات عمل في حرم الجامعة مع طلاب اللسانيات وكلية اللسانيات في المنطقة؛ وفي أوقات فراغه ألقى خمسة أحاديث سياسية حول مجموعة من الموضوعات (صورنا ثلاثة منها) في مايزيد على خمسة آلاف مستمع.

وما إن حل اليوم الخامس، يوم الجمعة، في بالو ألتو (Palo Alto) حتى بُحَّ صَوته، وأنهكه التعب، ولكن ماإن بدأ الحديث إلى جمهور مصغ باهتمام بلغ ألف شخص في قاعة رقص في أحد الفنادق، حتى تجاوز التعب والصوت الأجش وعاد إلى طبيعته. أخذ يستعيد نشاطه مع اقتراب المساء، وألقى حديثاً طويلاً بدءاً من تهديد الصواريخ الفضائية مروراً بجلسة السؤال والجواب، والأحاديث القصيرة التي كانت تدوم في الواقع عشر دقائق، والتي رد فيها على الأسئلة التي أثارها المستمعون.

وبعد هذا الحديث، قضى تشومسكي خمساً وأربعين دقيقة يجيب بصبر عن أسئلة طرحتها مجموعة مؤلفة من خمس وعشرين شخصاً جاؤوا متأخرين. وبلغ به الإعياء حداً تشنَّجت عنده أصابعه، فلم يعد قادراً على توقيع الصور الذاتية، فضحك قائلاً: «لم أعد قادراً على الكتابة».

إن تشومسكي الإنسان الذي ربما لايكل، ولكنه مع ذلك ليس من فولاذ، كان مازال يتحدث عندما أثار قاعة الرقص، واصفاً لصديق له ماأوحت له رحلته إلى المنطقة الكردية التركية.

وبمتابعة تشومسكي خلال هذه الأيام ذُهلت أولاً بتواضعه الكبير وكرمه. فلم يعتبر نفسه وسيلة لإحداث تغيير اجتماعي، بل ربما مساعداً على ذلك بفضل تقديم معلومات وتحليلات لمستمعيه تعد ثمرة أبحاثه. ويؤكد باستمرار وجود خيارات لابد من اتباعها، ويؤكد أن الأمر يعود لكل

فرد ليتصرف وفق مبدأ أخلاقي، ويجبر من هم في موقع السلطة أن يفعلوا ذلك.

وما أدهشني أيضاً تفاؤل تشومسكي، فبالرغم من الفحص الموجع لإساءة استخدام القوة الأمريكية، يظل مزاج تشومسكي مبتهجاً ويغشاه الأمل. وينهي معظم أحاديثه بالتذكير بالإنجازات الكثيرة التي حققتها الحركة الشعبية النشيطة خلال عقود عديدة منصرمة، وكيف أن التحول الاجتماعي يظل بأيدينا.

إن الفيلسوف والنشيط الياباني تسورومي سنسوكي (Tsurumi Shunsuke) الذي أشرف على تحرير هذه الطبعة من الكتاب، عزا تفاؤل تشومسكي هذا إلى الأفق التاريخي الواسع الذي استمده تشومسكي بفضل دراساته اللسانية. «في سياق ذلك التاريخ تبدو هذه السنة والسنة التالية لها زمناً قصيراً. وينبع تفاؤل تشومسكي من مفهوم العيش في الزمن الحاضر مع الإيمان باستمرار النشاط الإنساني عبر الزمن».

يطرح عمل تشومسكي على كلٌ منا السؤال والتحدي التاليين: هل هناك مايسوّغ تفاؤلنا في عصر القنابل الذكية والحكومة الشوفينية المتعصبة؟ جواب تشومسكي المعتاد هو: إن ذلك يعتمد كثيراً على مايريد منك ومني الشعب أن نقرر فعله.

جون جنكرمان

طوكيو، يناير ٢٠٠٣

الجزء الأول

مقابلة مع نعوم تشومسكي من أجل فيلم «القوة والإرهاب»

الجزء الأول

مقابلة مع نعوم تشومسكي
من أجل فيلم «القوة والإرهاب»

تمت هذه المقابلة التي أجراها جون جنكرمان
في مكتب تشومسكي معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا
بكمبردج، في ٢١ مايو (أيار) ٢٠٠٢

س: أين كنت يوم وقوع حدث ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟ وكيف سمعت الخبر؟

تشومسكي: سمعت الخبر من فتى عامل محلي في المنطقة. وكان قد مَرَّ لتوه من هناك، وقال: إنه شاهد الحدث على شاشة التلفاز. وهكذا علمت بالحدث أول مَرَّة.

س: ماذا كان رد فعلك الأولي؟

تشومسكي: أدرت مفتاح المذياع لأعرف ماالذي كان يجري، ومن ثم تبين لي بوضوح أنه عمل وحشي، وكان رد فعلي تماماً كبقية الناس في جميع أنحاء العالم. إنه عمل وحشي

رهيب، ولكن إذا لم تكن في أوربة أو الولايات المتحدة أو اليابان، فإن الأمر لايكون جديداً بالنسبة إليك، كما أظن. فتلك هي الطريقة التي عاملت بها القوى الإمبريالية بقية العالم عبر مئات السنين. إنه حدث تاريخي، ولكن لسوء الحظ، ليس بسبب حجم العمل الوحشي أو طبيعته، بل بسبب من هم الضحايا.

إن تنظر في مئات السنين من التاريخ ستجد أن البلدان الإمبريالية كانت ومازالت محصنة أساساً. يحفل التاريخ بالأعمال الوحشية، ولكن في مكان آخر. فعندما كانت اليابان تنفذ أعمالاً وحشية في الصين لم تكن هناك، حسب معر فتي، هجمات إرهابية صينية في طوكيو، إنها دائماً في مكان آخر. واستمر الأمر كذلك مئات السنين. هذا هو أول تحول.

ليس الحدث مفاجئاً تماماً. كنت أتحدث وأكتب عن ذلك من قبل، وما كتبته متوافر في الأدبيات التقنية في كل مكان. فمن المفهوم تماماً والواضح جداً أن يغدو من المحتمل، بفضل التكنولوجيا المعاصرة، أن تنفذ مجموعات صغيرة لاتمتلك تكنولوجيا معقدة عمليات وحشية مخيفة. والهجوم بالغاز في اليابان يعد خير مثال.

وهذا معروف منذ سنين لدى كل من يولي أدنى اهتمام للشؤون الدولية. فبإمكان المرء أن يجد مقالات في الصحف المهنية في الولايات المتحدة قبل الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) تشير إلى أنه ليس من الصعب وقوع انفجار نووي في

نيويورك. فهناك أسلحة نووية متحررة من الرقابة في جميع أنحاء العالم، بل لسوء الحظ، هناك عشرات الآلاف منها ومن مكوناتها. وتتوافر معلومات مكشوفة حول كيفية تجميع هذه المكوّنات لصنع «قنبلة قذرة» صغيرة، أو ماتسمى بالقنبلة الصغيرة كتلك التي قصفت بها هيروشيما، إذ تُعدُّ اليوم قنبلة صغيرة، ولكن انفجار قنبلة كقنبلة هيروشيما في فندق في نيويورك لايعد مسألة هينة.

ولن تكون هناك أية مشكلة. أعني، أنه برغم محدودية الطاقات، فإن شخصاً ما يستطيع التسلل عبر الحدود الكندية غير المحروسة والتي لايمكن حمايتها، فمثل هذه الأمور يمكن حدوثها في الفترة المعاصرة مالم تعالج بطريقة سليمة. والطريقة السليمة هي تحديد الجهة التي جاءت منها.

لافائدة من الصراخ بشأنها والتنديد بها. فإن كنت جاداً في منع المزيد من الأعمال الوحشية، فما عليك إلا أن تحاول اكتشاف جذورها. فما من جريمة، أي جريمة، سواء كانت في الشوارع، أو حرباً، أو أي شكل آخر إلا وكان وراءها عناصر مشروعة، وما على المرء إلاَّ أن يدرس هذه العناصر. وهذا صحيح، مَرَّة أخرى، سواء كانت الجريمة في الشوارع، أو كانت جرائم حرب ترتكبها قوة معتدية.

س: يسمع البعض تحليلك هذا فيتهمونك بأنك تجد أعذاراً للإرهابيين، فما ردك على ذلك؟

تشومسكي: الأمر مقلوب. لست أنا الذي يبحث عن

أعذار. فالمسألة لاتتعدى كونها مسألة عقل وسلامة تفكير. فإن كنت لاتهتم بوقوع مزيد من الهجمات الإرهابية، فقل إذن: دعنا من البحث عن الأسباب، أما إذا كنت مهتماً بمنعها، فلسوف تولي بالطبع اهتماماً بالأسباب، فلا علاقة لهذه المسألة بالأعذار.

من الممتع أن تعرف كيف يعمل مثل هذا النقد، فمثلاً، لو اقتبست مقالة في وول ستريت جيرنال (Wall Street Journal) حول الأسباب الكامنة وراء مصادر مجموعات من نمط مجموعات بن لادن، فإن الكُتّاب سيُتهمون، مثلي، بأنهم يجدون للإرهابيين أعذاراً، ولا يتهمون صحيفة الوول ستريت جيرنال التي أستشهد بها، والتي تبين لك ماله علاقة بالإرهاب. وما يهتمون به هو نقد سياسة الولايات المتحدة.

وإذا ماجاءت المادة من صحيفة وول ستريت جيرنال، أو إذا ما استشهدت بالسجلات الحكومية المُفرج عنها والتي تبحث هذه المشكلة ذاتها قبل أربعين سنة، فما لي أتهم بإعذار الإرهابيين في حين لايُتَّهم مجلس الأمن القومي ولا صحيفة وول ستريت جيرنال. لأن مايراه أولئك تهديداً هو العصيان وعدم الإذعان. أما اتهام تفسير الجهود المبذولة لمعرفة الأسباب بأنه إعذار للإرهاب إنما هو اتهام طفولي، مهما كانت الجريمة.

س: لقد ذكرت قنبلة هيروشيما. لقد سمعنا مؤخراً أنه يشار إلى موقع الهجوم على مركز التجارة الدولي بوصفه

«الأرض الصفر» (Grand Zero)، ولم يشر إلى ماحدث في اليابان هكذا.

تشومسكي: نعم. هو كذلك.

س: فيما يتعلق باليابانيين الذين عرفوا القنابل الذرية في ناغازاكي وهيروشيما، يؤدّي سماعهم عبارة «الأرض الصفر» إلى إحساسهم بمشاعر معقدة. لاأدري إن كان لديك أفكار حول ذلك؟

تشومسكي: الأمر الممتع هو أن مامن أحد هنا، تقريباً، يفكر في هذه العبارة، أعني أني لم أر تعليقاً في الصحافة أو التعليقات الجماهيرية حول هذا الموضوع. فهو ليس موجوداً في ضمير الناس.

س: ولكن تلك الكلمة...

تشومسكي: هي من حيث أتت بصورة مطلقة. لاتساؤل بشأنها. إنها صدمتني مباشرة.

س: لهذا تتردد أصداؤها عند الناس.

تشومسكي: أفهم. ولكن ذلك لايعني أن هنا هي القصة السابقة ذاتها، لأنها هنا. فالأعمال الوحشية التي ترتكب في مكان آخر لاوجود لها. وذلك ربما يستمر مئات السنين. أعني، الولايات المتحدة، مثلاً. لم أنا جالس هنا؟ حسناً!! أنا أجلس هنا لأن بعض المتعصبين الدينين الأصوليين من إنكلترا جاؤوا هنا وبدؤوا بإبادة السكان المحليين، ثم تبعهم

آخرون غيرهم وأبادوا ماتبقى من السكان المحليين، لم يكن الأمر شأناً صغيراً، بل ملايين الناس أُبيدوا.

وكان الفاعلون في ذلك الوقت يعرفون ماكانوا يفعلون. ولم يتساءلوا قط عما كانوا يعملون. ومرَّت مئات السنين ولم تصبح تلك الأعمال الوحشية جزءاً من الضمير. والواقع أن هناك حقيقة صارخة هي أن مذهب الفاعلين في ستينات القرن العشرين والصحوة التي أسفر عنها أدى إلى تحول كبير في هذا للمرة الأولى في التاريخ الأمريكي. إذ بعد ثلاث مئة سنة أصبح الناس يفكرون في مثل هذه المسألة.

عندما كنت صبيّاً، كنا نلعب لعبة رعاة البقر (كاوبويز) والهنود. كنا نحن الكاوبويز، وكنا نقتل الهنود. ولم يكن لدينا أي فكرة أخرى حول هذا الأمر. ولكن هذا لاينطبق على أطفالي.

س: مرَّة أخرى، فيما يتعلق باليابان، هل لديك أي أفكار عن مساهمة الحكومة اليابانية في رد فعل أفغانستان؟

تشومسكي: هي الأفكار ذاتها فيما يتعلق بكل حكومة تنحني إلى الوراء للالتحاق بتحالف تقوده الولايات المتحدة، لأسبابها الخاصة، دائماً. ولهذا كانت روسيا إحدى الدول الأولى التي التحقت بهذا التحالف بحماس. لماذا روسيا؟ لأنها تريد تخويلاً لمتابعة أعمالها الوحشية المريعة بنشاط أكبر في الشيشان. وكانت الصين سعيدة بالتحاقها بأمريكا. لقد ابتهجوا بحصولهم على دعم الولايات المتحدة للقمع الذي

كانوا يمارسونه في غربي الصين. كما رحَّبت الولايات المتحدة بانضمام الجزائر «أكبر بلد إرهابي في العالم» إلى التحالف ضد الإرهاب.

وأكثر الحالات لفتاً للنظر، تلك التي تقول لك شيئاً عن المفكرين الغربيين، هي تركية. القوات التركية الآن في كابل (Kabul) أو ستكون هناك في أقرب وقت، تمولها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل أن تقاتل ضد الإرهاب. لم تقدم تركية قواتها؟ الواقع أنها كانت أول بلد تعرض على الولايات المتحدة إرسال جنودها إلى أفغانستان، وعللوا ذلك. كان ذلك رداً للجميل؛ لأن الولايات المتحدة كانت الدولة الوحيدة الراغبة في تقديم عون هائل لما يقومون به من أعمال وحشية في جنوب شرق تركية خلال السنوات القليلة الماضية.

ليس ذلك تاريخاً قديماً. فهو مازال، في واقع الأمر، مستمراً. فقد نفذ الأتراك بعض أسوأ الأعمال الوحشية في تسعينات القرن العشرين، أي إنهم ارتكبوا أعمالاً وحشية تفوق كثيراً مااتهم به سلوبودان ميلوسيفيتش (Slohodan Melosevic) في كوسوفو، قبل المباشرة بقصف الناتو لها.

لقد نفذت هذه الأعمال في الوقت نفسه في جنوب شرق تركية ضد حوالي ربع السكان، ضد الأكراد الذين قمعوا قمعاً رهيباً. إذ طرد الملايين منهم خارج بيوتهم، ودمرت آلاف القرى، وربما قُتل عشرات الآلاف، أي إن تركية قامت بكل مايتصوره العقل من تعذيب وحشي.

كان السلاح يتدفق إلى تركية في عهد كلينتون. أصبحت تركية أكبر متلق للسلاح في العالم ماعدا إسرائيل ومصر اللتين تعدان من فئة مختلفة؛ كما عبرتا عن امتنانهما للولايات المتحدة لرغبتها في مساعدتهما على ممارسة إرهاب دولة جماعي. ومكافأة لها يخوضان الآن «حرباً على الإرهاب». وحقيقة أن المفكرين الغربيين ينظرون إلى هذا ولا يقولون شيئاً يُعدّ شهادة مؤثرة على تربية المثقفين.

والوانع أنه حتى قبل الحادي عشر من سبتمبر (أيلول)، صادف أن تزامن العيد الخمسون لحلف الناتو في العام ١٩٩٩ مع قصف الصرب. وتلك هي القضية. أعني، أليس ذلك مخيفاً؟ كيف نحتمل أعمالاً وحشية تجري قرب حدود الناتو؟ ذلك هو الموضوع. لايمكنك أن تجد كلمة واحدة تدل على أنك لست قادراً على تحمل مثل هذه الأعمال الوحشية بسهولة ضمن الناتو -وليس عبر حدوده- فحسب، بل لست قادراً على تحمل الإسهام الكبير فيها ضمن حدود الناتو، وفي الوقت نفسه يلتقي القادة الغربيون في واشنطن، ويفكرون في الأعمال الوحشية التي يُنفذها الحلف خارج حُدوده، ويمتدحون أنفسهم للقصف الذي يقومون به من أجل مايدعونه كذباً «منع الأعمال الوحشية». ولا يمكن أن نجد كلمة نعلّق بها على ذلك. لقد كتبت حول ذلك، ولكن مامن أحد يتجرأ على التعليق على هذه الأحداث حتى لا يتهم بأنه يسوّغ للصرب أعمالهم الوحشية.

كما ذكرت، يبين هذا الأمر انضباطاً لايصدق. ولا أظن أن هناك دولة دكتاتورية تستطيع تحقيق مثل هذه الدرجة من الانضباط. إنه لأمر مذهل يتصف به الغرب، ولا أعلم إن كان أحد في اليابان قد لاحظ ذلك، ومع ذلك فهو مأساوي جداً.

لقد أجريت، بالفعل، مقابلة هذا المساء مع صحيفة ألمانية كبرى وأشرت إلى هذه الحقيقة، وقلت لهم ماينبغي أن يعرفوه، إنه بالرغم من أن الولايات المتحدة هي الممول الرئيسي الأول لتركية، فإن ألمانيا هي الممول الثاني. فما الأمر؟

كل فرد قلق بشأن وقف الإرهاب. حسناً، هناك طريقة سهلة حقاً: توقفوا عن المساهمة فيه. فذلك وحده سوف يقلص كمية الإرهاب في العالم بصورة كبيرة جداً.

وذلك صحيح فيما يتعلق بكل دولة أعرفها، بدرجات مختلفة، ولكن هذه الخطوة تكون فعالة حقاً إذا مااتخذتها الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وغيرها من الدول. ولكن تلك هي الطريقة التي تتصرف بها الحكومات والمفكرون.

س: أفترض أنه معيار مزدوج مذهل، أو نفاق. لدى إقامتنا في اليابان، نسمع كثيراً عن اعتراف اليابانيين بتحمل المسؤولية عن جرائمهم في الحرب العالمية الثانية. وكان علي دائماً أن أقدّم بالقول: طبعاً، أنا آتٍ من بلد انخرطت في حرب في فيتنام، وقتلت الملايين من الناس، ويبدو أنها نسيت الموضوع كله في غضون ثلاثين يوماً.

تشومسكي: المدى الذي بلغ بهم نسيان الأمر ملفت للنظر. فقبل شهرين فقط، أي في مارس (آذار) من العام ٢٠٠٠، كانت الذكرى السنوية الأربعون لإعلان الشعب أن الولايات المتحدة تهاجم فيتنام الجنوبية، وأن الطيارين الأمريكيين يقصفون فيتنام الجنوبية، وأنهم بدؤوا باستخدام المواد الحربية الكيماوية لتدمير المحاصيل وشرعوا بسوق الملايين إلى معسكرات الاعتقال.

كل ذلك في فيتنام الجنوبية. لا الروس ولا الصينيون ولا الفيتناميون الشماليون تعهدوا بعدم السماح لهم بالإقامة في وطنهم. حرب الولايات المتحدة الأمريكية ضد فيتنام الجنوبية وحدها التي أعلنت على الملأ، ولم يحتفل بإحياء ذكراها بعد أربعين سنة لأن أحداً لايعرف شيئاً عن ذلك. فالأمر ليس بذي أهمية. ويكون ذا أهمية إن فعلوا شيئاً ضدنا، وعندها ينتهي العالم. أما إذا مافعلنا الشيء نفسه بهم، فإن الأمر لايعدو عن كونه طبيعياً، ولم التحدث فيه؟

س: وكذلك الأمر في اليابان.

تشومسكي: أعتقد أن الأمر أفضل في اليابان. فاليابان هزمت، والبلدان المهزومة مضطرة للانتباه إلى ماتفعل. ولنلق نظرة على محاكمات طوكيو. مما لاشك فيه أن الجميع كانوا مدانين بكل أنواع الجرائم، ولكن المحاكمات كانت هزلية تماماً. إذ كانت مشينة من وجهة النظر القانونية وغيرها. وهل هناك من يحاكم المجرمين الأمريكيين؟

والواقع، أن الطريقة التي وضعت فيها المبادئ في نوريمبرغ (Noremberg) كانت ممتعة. إذ كان عليهم أن يقرروا في نوريمبرغ ماالذي يعتبر جريمة حرب مما كان يجري حينذاك. وكان هناك تعريف واضح، وهو الضمير. لم يكن ذلك خافياً. تعد الجريمة جريمة حرب إذا اقترفها الألمان، أما التي نقترفها نحن فليست كذلك.

فعلى سبيل المثال، لم يُعتبر قصف التجمعات في الضواحي جريمة حرب، لأن معظم القصف قامت به بريطانيا وأمريكا، أكثر مما فعل الألمان، ولهذا فليس هذا القصف جريمة حرب. واستطاع قادة غواصة ألمانية أن يأتوا بشهادة قادة غواصة أمريكية الذين قالوا: «نعم، لقد فعلنا الشيء نفسه»، ولهذا أطلق سراحهم لأن قصفهم لم يكن جريمة حرب.

بل الأمر أسوأ من ذلك، فمثلاً، اعتبر فتح السدود في هولندا جريمة حرب، بالتحديد. أما في كورية الشمالية بعد سنوات، عندما مسحت القوى الجوية الأمريكية البلاد كلها -بحيث لم يبق مايُقصف- شرعوا بقصف السدود. تلك هي جريمة حرب كبرى. تلك جريمة أكبر من جريمة قصف السدود الصغيرة. وصفت هذه العمليات، ولكنها وصفت باعتزاز.

إن تقرأ تاريخ القوى الجوية الأمريكية الرسمي أو مجلة القوى الجوية (Air Force Quarterty) وما شاكلها، تجد وصفاً مفصَّلاً بصورة مخيفة، ولكنه وصف للإنجاز العظيم بقصف السدود، ورؤية الفيضانات تجرف الوديان، ورؤية غضب

الشعب. انظر، هؤلاء آسيويون يعتمدون على الأَرُز؛ فانظر كيف نصيبهم حيث يألمون. إنه تعصب عرقي. لقد حدث هذا بعد سنتين فقط من إعدام قادة ألمان بسبب قيامهم بأعمال أقل وحشية من هذه بكثير.

ليس هذا جزءاً من التاريخ. لاأحد يعلم، فإذا لم تُجرَ دراسة خاصة فإن أحداً لن يعرف هذه الأمور.

س: كذلك الأمر في فيتنام، حيث جرت أمور كثيرة...

تشومسكي: أذكر مقالة كتبت عنها في ذلك الوقت في صحيفة أمريكية رائدة، هي كريستيان سينس مونيتر (Christion Science Monitor). إنها صحيفة جيدة معروفة بتقواها من بين خصائل أخرى، وهي في الواقع صحيفة جيدة. نشرت مقالة بعنوان «شاحنات أم سدود» كتبها أحد مراسليها. وأثارت الصحيفة سؤالاً: هل علينا قصف السدود في فيتنام أم قصف الشاحنات؟

ثم تقول المقالة، حسناً، قصف السدود يرضينا أكثر لما له من أثر كبير، وما يسفر عنه من كوارث، وموت الناس جوعاً، وما إلى ذلك. ومع ذلك وبرغم الفوائد الناجمة عن قصف السدود، يظل قصف الشاحنات، من ناحية تكتيكية، أكثر معقولية لأن الشاحنات يمكن أن تنقل تجهيزات عسكرية، ويمكن أن تؤذي الجنود الأمريكان، وهكذا. ولهذا علينا أن نكبح ابتهاجنا بقصف السدود، ونقوم بقصف الشاحنات.

ولا أعلم كيف تعلق على ذلك. ولكن المذهل في الأمر أنه لم يحصل أي رد فعل على هذه المقالة، إطلاقاً.

ولنُضف حالة أخرى، إنني أفكر في كل ماكتبت؛ إن أكثر ماأثار الغضب تعليق قلته قبل خمس وثلاثين سنة عندما أثرت سؤالاً في الولايات المتحدة حول ما إذا كنا بحاجة إلى -نسيت المصطلح الذي استخدمته- معارضة، أو نزع النازية من النفوس. فأثار ذلك غضباً. كان ذلك حول حدث معين، وإليك ذاك الحدث:

نشرت مجلة نيويورك تايمز مادة تصف حادثة وقعت في شيكاغو. أقام متحف شيكاغو للعلوم، وهو متحف محترم جداً، عرضاً. وكان العرض لقرية فيتنامية، نوعاً من صورة لقرية فيتنامية يُنظر إليها من خلال ثقب في جدار غرفة مظلمة. القرية محاطة بالمدافع، والأطفال الذين كان من المفروض أنهم قادمون لأجل اللعب، قتلوا بفضل قصف المدافع. تلك كانت هي اللعبة، فاحتجت بعض النسوة. وكان في الخارج احتجاج بسيط يقول: إنهم يستهجنون ذلك، فهل يعقل أن يحدث هذا؟. وكانت مقالة النيويورك تايمز تدين المحتجين لجرأتهم على الاحتجاج على هذا الحدث الرائع للأطفال. وكان ذلك، عندما قلت: «تتساءلون أحياناً فيما إذا كنا بحاجة لمعارضة أو لإزالة النزعة النازية. وأعتقد أن ذلك صحيح».

أعني عندما تجد صحيفة عالمية رائدة توبخ النساء لمعارضتهن هذه اللعبة الرائعة حيث يقتل الأطفال

بالرصاص في القرية، وعندما يكون ذلك كله واقعاً فعلاً. أنت تعلم، أن ذلك ربما يكون سيئاً لو حدث قبل مئات السنين، ولكنه يجري أمام أعيننا. ذلك مذهل تماماً. ومرَّة أخرى أقول: ليس الاحتجاج محظوراً فقط، بل يدان كل من يجرؤ على الاحتجاج.

ولنذكر حادثة أخرى تتعلق باليابان. فحوالي منتصف ستينات القرن العشرين ترجمت «راند كوربوريشن» (Rand Corporashion)، وهي وكالة بحث مرتبطة بوزارة الدفاع وثائق حول قمع المتمردين على حكوماتهم من منشورية وشمال الصين ونشرتها. قرأتها وكتبت مقالة قارنت فيها بين هذه الوثائق ووثائق القمع الأمريكي في فيتنام. فكانت متشابهة تماماً في إضفاء التقوى على الذات، وفي التسويغات وفي الإجراءات، وما إلى ذلك.

لم تكن المقالة شائعة، إذ لم أجد إشارة إليها إلا في مقالة مدرسية حول الأعمال الوحشية اليابانية في منشورية وشمال الصين. وذكرت هذه الإشارة في الهامش أن كان هناك مقالة ممتعة حاولت تسويغ هذه الأعمال الوحشية، وعنوا بذلك مقالتي. كيف كنت أسوغ تلك الأعمال الوحشية؟ حسناً: كنت أقارن مافعله اليابانيون بما كان الأمريكيون يفعلونه في الوقت نفسه. وبما أن كل مايفعله الأمريكيون صحيح وعادل، بالتعريف، فإن مقالة كمقالتي لابد وأن تكون تسويغاً للأعمال الوحشية اليابانية.

لم يستطع الكاتب أن يدرك أن ذلك ربما يكون العكس تماماً، فذلك لايمكن أن يدرك، لأن إدراكه يعني أننا نفعل ماهو خطأ.

س: ما زلت منذ سنين عديدة تبرز هذه الأنواع من التناقضات. فهل لك أن تصف لنا باختصار كيف أصبحت من النشطاء؟

تشومسكي: تعود وجهات النظر تلك، في واقع الأمر إلى أيام الطفولة. فأول مقالة كتبتها، وأعرف متى بدقة لأني ما زلت أتذكر الحدث، كانت في فبراير من العام ١٩٣٩ بعد سقوط برشلونه (Bercelona). كانت المقالة حول الفاشية في أوربة. كنت في العاشرة من عمري. لم أكن من النشطاء. ولكن هذا الاتجاه أصبح جزءاً من حياتي منذئذ.

كانت هناك فترة هدوء في خمسينات القرن العشرين عندما كانت البلاد كلها هادئة. ولكن ما إن عادت الأمور إلى السخونة في مطلع ستينات القرن العشرين، حتى عدتُ للنشاط بشيء من الأسف والخوف، ربما لأني أعلم جيداً أن القيام بمثل هذه الأعمال (التحرك بنشاط ضد الظلم) لا يتم بصورة جزئية. إذ ما إن ينطلق المرء، فإن هذا العمل يستغرقه تماماً، وكان لدي الكثير مما أشعر بالسعادة للقيام به ولا أريد أن أتخلى عنه.

س: ولكنك تختار أن تتخلى عنه؟

تشومسكي: بعض الشيء

س: أو أنك شعرت بأن عليك أن تتخلى عنه؟

تشومسكي: حسناً؛ لدى بدء الحرب الفيتنامية، يستحيل على المرء ألا ينخرط في الأمر.

س: ماذا كان رد الفعل على ما كنت تفعله، أثناء تلك السنوات الأولى؟

تشومسكي: لم يكن الأمر مفهوماً أبداً. فالحرب الفيتنامية قد بدأت بالنسبة للولايات المتحدة في العام ١٩٥٠، ومنذ العام ١٩٥٤ حتى العام ١٩٦٠ كان لدى الولايات المتحدة نظام إرهاب على النمط الأمريكي اللاتيني. ولم يكن الأمر نكتة؛ فقد قتلوا حوالي ستين ألف إلى سبعين ألف شخص. ولم يكن هناك احتجاج. صفر.

وعندما تسلم كيندي السلطة، صعدوا الأعمال الإرهابية، وسرعان ما تحول الأمر إلى هجوم أمريكي مباشر. ولم يصدر أي احتجاج. إذ لم يكن بالإمكان خلال ستينات القرن العشرين الحصول على توقيع أحد على عريضة احتجاج. ولم يستطع أحد حضور أي لقاء. أتذكر ذلك. كنا نحاول تنظيم لقاءات حول فيتنام تضم بعض الطلبة وقلة من المهتمين. ولكن كان لا بد من وضع ما لا يقل عن ستة موضوعات، أعني إيران، وفنزويلا (Venezuela)، وفيتنام، وموضوعات ستة أخرى، ومن ثم ربما تضم أناساً أكثر من المنظّمين.

بحلول العام ١٩٦٥ أو ١٩٦٦ أصبحت فيتنام قضية كبرى. ولكن الاحتجاجات قوبلت بعداء شديد. ولنأخذ بوسطن مثالاً. هذه مدينة متحررة نوعاً ما، ومع ذلك لم نستطع أن نقوم فيها باحتجاجات عامة ضد الحرب. إذ كانت تُفرَّق بعنف. ولم يكن ينجو المتكلمون من القتل إلا بمساعدة مئات من شرطة الولاية. وكانت وسائل الإعلام الليبرالية تمتدح الهجوم على المحتجين.

عقدنا اجتماعات في الكنائس، ولكنها تعرضت للهجوم. فقد هوجمت كنيسة أرلنغتون ستريت (Arlington Street Church) في قلب المدينة، وهوجم الاجتماع. ومرَّة أخرى جاءت الشرطة لمنع المهاجمين من اقتحام الكنيسة وقتل كل من فيها. هذا ما جرى. وطمست الكنيسة، وكان الناس جميعاً يعتقدون أن تلك الفعلة صحيحة، بل اعتبر أنه التصرف الصحيح الذي ينبغي أن يكون.

أتذكر أن زوجتي - لدي طفلتان منها - قد ذهبت والطفلتان إلى الاشتراك باحتجاج نسائي. وأنت تعلم كيف يكون مثل هذا الاحتجاج، أعني أنهم لا يرجمون بالحجارة. بل إنهم يسيرون في الشوارع مع الأطفال، لا أكثر. وكان ذلك في كونكورد (Concord)، وهي ضاحية هادئة مهنية، أهلها من الطبقة الوسطى. ومع ذلك هوجموا، وكان الناس يلقون عليهم العلب الفارغة والبندورة وما إلى ذلك. وكان تصرف الناس هذا يعد صحيحاً.

ولم يحدث تغير كاف تشعر معه أن هناك معارضة جماهيرية كبيرة حتى أواخر العام ١٩٦٦. وكان ذلك بعد خمس سنين من بدء الحرب. وبحلول ذلك الوقت، كان مئات الآلاف من الجنود الأمريكيين يجتاحون هائجين جميع أنحاء فيتنام. وكانت الحرب، طبعاً، قد امتدت إلى بقية الهند الصينية. ولا أحد يعلم كم قتل من الناس لأن أحداً لم يقم بإحصاء ذلك.

وهناك أمر هام آخر حول الحرب الفيتنامية هو أنه ليس لدينا أية فكرة عن الخسائر التي تكبدها الفيتناميون. أعني أنه بالنسبة للولايات المتحدة، فإننا نعرف حتى آخر شخص. ومن القضايا الكبيرة بعد الحرب كان البحث عن عظام الطيارين الأمريكيين. ولكن أحداً لا يعلم كم قتل من الفيتناميين، أو ما زالوا على طريق الموت بسبب ما حدث. والتخمينات تتراوح بين الملايين. لأنك لا تهتم بالأمر عندما تذبح الآخرين، ومن يهتم بذلك؟

وقبل أسبوعين فقط نشرت حكاية على الصفحات الأولى من الصحف. اكتشف بعض العلماء أنه من الممكن صناعة ما أسموه «القنابل القذرة» - وهي قنابل تصدر إشعاعاً كثيراً، ولكنها لا تحدث تدميراً كثيراً - ويمكن وضعها في أي مكان من نيويورك. لقد أحصوا النتائج، وقالوا: إنه لم تقع وفيات كثيرة، بل عدد قليل، وربما تكون الوفيات قد حدثت بسبب المرض، وربما تحدث هلعاً. وهكذا فهي حكاية رهيبة، وخبر الصفحة الأولى.

وفي اليوم نفسه عقد مؤتمر في هانوي (Hanoi) شارك فيه علماء أمريكيون كبار، ممن عملوا في مادة الديوكسين (dioxin) التي تشكل العنصر السام الأساسي في إيجنت أورنج (Agent Orange). وكان المؤتمر مهتماً بالنتائج التي أسفرت عنها الحرب الكيماوية الأمريكية في فيتنام الجنوبية فقط، وليس في سواها. فالشمال لم يتعرض لهذا الإرهاب. وقام عالم أمريكي في المؤتمر بفحص مستويات الديوكسين في أجزاء مختلفة من البلاد.

بالطبع، كانت مستويات الديوكسين في الأماكن التي خضعت لعمليات إبادة المحاصيل وإتلافها عالية جداً، أعلى بمئات المرات من المستويات المسموح بها في الولايات المتحدة. وتلك حالات جديدة. وكثير من هذه الحالات قبل بضع سنين كانوا من الأطفال. وحاولوا حساب النتائج التي ربما تكون هائلة، وتصل إلى مئات الآلاف من الضحايا. فتلك الأنباء لم تكن تذكر في الصحافة.

كان لدي صديق قام ببحث في قاعدة المعطيات. فوجد خبراً أو خبرين واردين هنا وهناك. قال: إليك تقريراً عن استخدامنا للأسلحة الكيماوية وقتل مئات الآلاف من الناس، لا ذكر له. أما أن تقوم بعمل ما في نيويورك ربما يؤدي إلى قتل بضعة أشخاص، فإن الخبر سيحتل الصفحات الأولى من الصحف.

ذلك هو الفرق. ذلك هو الفرق بين من يهتم ومن لا يهتم.

س: كيف تفسر ذلك؟ يظن الصحفيون أنفسهم أبطال الشعب، يكشف الصحفي المحقق الطريقة التي تجري عليها الأمور، ويفضح ذوي الشأن، ويعلن فضائحهم على الملأ، وغير ذلك. ومع هذا لا يكتبون عن مثل تلك الأمور التي تتحدث عنها. كيف ذلك؟

تشومسكي: المسألة، جزئياً، هي مسألة تدويل القيم. أعني أنك لا تعتبر ما تفعله بالآخرين مهماً. ليس الصحفيون فقط، بل ذلك ينطبق على المثقفين والعلماء وعلى العالم الفكري العام.

فمثلاً، لو أجريت استفتاء بين المفكرين الأمريكيين حول قصف أفغانستان، سيكون التأييد للقصف شاملاً. ولكن كم مفكر منهم يفكر بقصف واشنطن بسبب حربها ضد نيكاراغوا، أو لنقل، ضد كوبا الجنوبية أو تركية، أو أي بلد آخر؟ فلو اقترح شخص ما ذلك، فإنه يكون في نظرهم معتوهاً. ولكن لماذا؟ أعني، إذا كان أحد الأمرين صحيحاً، لماذا يكون الأمر الآخر خطأً؟

عندما تحاول دفع أحد للحديث عن هذه المسألة، فإنهم لا يفهمون ما سؤالك. إنهم لا يدركون أن علينا أن نطبق على أنفسنا المعايير التي نطبقها على غيرنا. ذلك غير مفهوم لديهم. ليس هناك مبدأ أخلاقي أبسط من هذا المبدأ. فكل ما عليك فعله هو أن تقرأ فيلسوف بوش المفضل (عيسى). هناك تعريف مشهور للمنافق في الإنجيل، فالمنافق هو الذي يرفض أن يطبق على نفسه معايير يطبقها على غيره.

وبموجب هذا المعيار، تكون كل التعليقات والمناقشات المتعلقة بما يسمى «الحرب على الإرهاب» نفاقاً خالصاً، بلا استثناء. فهل يستطيع أحد منهم ذلك؟ لا، إنهم لا يفهمون ذلك أبداً.

س: وفيما يتعلق بأولئك الراغبين في القول، انتظر دقيقة، دعنا نفكر في هذه المسألة من منظور أوسع، يرفع الحظر عالياً ضدهم، أليس كذلك؟

تشومسكي: لا يرفع الحاجز أمامهم فحسب، ولكن من يحاول فعل ذلك سرعان ما يدان ويُتهم بأنه يسوّغ أفعال أسامة بن لادن. أعني أن رد الفعل يكون هيستيرياً تماماً وغير معقول أبداً. وليس هذا غير مألوف. وأراهنك على ما تريد، إن عدت إلى اليابان في ثلاثينات القرن العشرين أو أربعيناته، وأجريت استفتاء للمفكرين بشأن الحرب، فإنك ربما تحصل على ردود الفعل ذاتها. وكذلك الأمر في ألمانية، وفرنسة وفي أي مكان آخر. إنه معيار. إنه معيار قبيح، ولكنه معيار.

س: ونعود الآن إلى الولايات المتحدة - أنا أقيم في طوكيو - ولدى عودتي إلى هنا وقراءة تعليق حول الحرب القادمة على العراق، يبدو لي الأمر وكأنهم يكتبونه على أساس برنامج عمل.

تشومسكي: إنها مسألة فنية. كم ستكلف؟ هل ستكون هناك مشاكل؟

والواقع أن أفغانستان تعد حالة هامة. إنك لا تستطيع أن تجري استفتاء في أفغانستان، ولكن هناك رأي أفغاني تم التعبير عنه.

فعلى سبيل المثال مجموعة النساء الكبرى في أفغانستان، الجمعية الثورية النسائية الأفغانية المعتبرة جداً والمتمتعة بشجاعة فائقة. لديهن موقع على الإنترنت؛ ويتكلمن؛ ويفصحن عن آرائهن. وكن مُعارضات قويات للقصف.

نظمت الولايات المتحدة اجتماعاً في باكستان في أواخر أكتوبر من العام ٢٠٠١ ضم ألفاً من الزعماء الأفغان، بعضهم تسلل من أفغانستان وبعضهم كانوا في باكستان. كلهم كانوا تحت رعاية الولايات المتحدة. لقد اتفقوا على كل شيء، ولكنهم لم يوافقوا على القصف. ولم يعارضوا القصف بصورة عامة فحسب، بل قالوا: إن القصف سوف يضر بجهودهم الرامية للإطاحة بنظام طالبان من الداخل، الأمر الذي كانوا يعتقدون أنه ممكن.

وينطبق الأمر نفسه على الشخص الذي وضعت أكثر أملها وإيمانها فيه عبد الحق، المنشق الأفغاني المشهور الذي كان يقيم في باكستان. أجرت معه مؤسسة منحة كارنيجي للسلام العالمي مقابلة، وهي مؤسسة ليست مغمورة، ولم تنشر المقابلة في الولايات المتحدة، بل نشرت في أوربة. لقد أدان هذا الرجل القصف، في ذلك الوقت. إذ قال ما قاله الزعماء الأفغان المتعاملون مع أمريكا، قال: إن القصف يضر بجهودنا

للإطاحة بطالبان، الأمر الذي نستطيع تحقيقه؛ وأضاف قائلاً: إن الأمريكيين يفعلون ما يفعلونه لمجرد استعراض عضلاتهم. إنهم لا يأبهون بما يصيب أفغانستان والأفغانيين. تماماً مثلما لم يهتموا في ثمانينات القرن العشرين، فهم لا يهتمون الآن كذلك.

هذا هو رأي الأفغانيين. فهل أولاه أحد أي اهتمام؟ بل لم يكد يُذكر. فمن يأبه بما يفكر فيه الأفغانيون؟ سنفعل ما نشاء.

س: فلنلفت انتباهنا إلى فلسطين وإسرائيل، هل يمكن قول الشيء نفسه فيما يتعلق باحتلال دام حتى الآن خمساً وثلاثين سنة لم يكد أحد يدرك أنه احتلال؟

تشومسكي: الواقع أنه ليس مجرد احتلال. إنه احتلال وحشي كبقية الاحتلالات العسكرية الكريهة. هذا الاحتلال قاس، لأن غايته إفساد الأخلاق وإضعاف المعنويات، وطرد الشعب من أرضه إن أمكن. ولم يكن بمقدور هذا الاحتلال الاستمرار بدون دعم الولايات المتحدة، إذ ما زالت الولايات المتحدة تسد الطريق أمام أية تسوية دبلوماسية طوال ثلاثين سنة. إضافة إلى أن الولايات المتحدة تقدم لإسرائيل الدعم العسكري والاقتصادي.

وعندما انتشرت المستعمرات الإسرائيلية في المنطقة في محاولة لضم الأجزاء المرغوبة من الأراضي إلى إسرائيل، كان ذلك على حساب دافعي الضرائب الأمريكيين. فإن عُذِّب خمسون ألف شخص، حسب التقديرات، فإن ذلك يقع على

عاتق دافع الضرائب. فلا شيء يهم. فعندما غزا الإسرائيليون لبنان وقتلوا عشرين ألف نسمة، فإن أمريكا لم تزودهم بالوسائل فحسب، بل استخدمت الفيتو ضد قرارات مجلس الأمن وسعت لإيقاف ذلك، وهكذا. لا يهمهم الأمر.

لا تعد هذه المذابح أعمالاً وحشية. بل الأعمال الوحشية هي ما تكون ضد إسرائيل.

القضية الوحيدة الآن هي قضية الاستشهاديين[١]. ولكن متى بدأت عملياتهم؟ السنة الماضية، على نطاق واسع. إنها جرائم، بل جرائم رهيبة، بلا شك. سنة من الجرائم الفلسطينية ضد إسرائيل بعد أربع وثلاثين سنة من الهدوء. كانت إسرائيل محصنة. أعني أنه كانت هناك هجمات إرهابية ضد إسرائيل ولكن ليس من داخل الأراضي المحتلة. إذ كانت المناطق المحتلة سلبية بصورة ملحوظة؛ وذلك ما كان يفترض أن يكون؛ مثل أوربة ومستعمراتها. ولكن عندما اتجهت الأمور اتجاهاً آخر، ووصلت المقاومة إلى داخل الأراضي المحتلة أصبحت أعمالاً وحشية مريعة.

والواقع أن الولايات المتحدة تصعّد الأمور الآن. ففي ديسمبر من العام ٢٠٠١، حاول مجلس الأمن أن يمرّر قراراً بمبادرة الاتحاد الأوربي يدعو إلى إرسال مراقبين دوليين من أجل تخفيض مستوى العنف فقط، والذين لهم هذه المقدرة؛

---

(١) وردت في الكتاب الأصلي (انتحاريين) (المترجم).

أعني أنه لو كان هناك مراقبون دوليون، فإن مستوى العنف سينخفض، ولكن الولايات المتحدة استخدمت الفيتو ضده.

وقبل أسبوع من ذلك، عقد اجتماع هام جداً في جنيف ضم الفرقاء الموقعين على اتفاقية جنيف الرابعة. وأعتقد أن أربع عشرة دولة حضرت الاجتماع بما فيها الاتحاد الأوربي كله، حتى بريطانيا، وأكدوا مرّة أخرى ما هو مؤكد عالمياً مراراً وتكراراً أن اتفاقية جنيف الرابعة تنطبق على الأراضي المحتلة، وهي مسألة كانت تؤيدها الولايات المتحدة.

ثم انتقلوا إلى توضيح نقطة صحيحة تماماً، هي أن ذلك يعني فعلاً أنّ كل ما تفعله إسرائيل والولايات المتحدة غير شرعي، وهو، في واقع الأمر، جريمة حرب. وعرَّف كثير منهم الحالة بأنها «انتهاكات خطيرة»، أي إنها جرائم حرب خطيرة. وهذا يعني أن قادة الولايات المتحدة وإسرائيل يجب أن يقدموا للمحاكمة. والواقع أن الولايات المتحدة، بوصفها من الموقعين الكبار على اتفاقية جنيف، ملزمة بإدانة الذين ينتهكون اتفاقات جنيف انتهاكات خطيرة ومحاكمتهم، بما في ذلك قادتها.

لم تحضر الولايات المتحدة الاجتماع، الأمر الذي أدى إلى قتله. لقد ذكر ذلك بصراحة. لقد عزز عدم حضورها الأعمال الوحشية. ويعني ذلك أن انتهاكات ميثاق جنيف، وجرائم الحرب الخطيرة من الأنواع التي حوكم بسببها الألمان واليابانيون في طوكيو ونوريمبرغ، أصبحت مشروعة. ولذلك

استمرت. ويمكنك الاستمرار في محاولات منع ذلك، ولكن الولايات المتحدة بمفردها تسد الطريق على أية تسوية. وما زالت تفعل ذلك.

ويكثر الحديث الآن عن خطة سلام سعودية. لم تقبلها الولايات المتحدة، بالطبع، مع أنها خطوة رائعة إلى الأمام. ومنذ خمس وعشرين سنة، تطرح خطط شبيهة بالخطة السعودية. فقد طرحت في مجلس الأمن في العام ١٩٧٦. فاستخدمت الولايات المتحدة ضدها حق الفيتو. رغم أن ما من أحد مهتم بالأمر إلا وأيدها بما في ذلك الدول العربية الهامة ومنظمة التحرير الفلسطينية. وما زالت الأمور تسير على هذه الشاكلة منذئذ.

هل تعلم كم هم الذين يعلمون ذلك من بين الأكاديميين؟ ربما عشرة. أعني أنه يجري إخفاء الأمور. تقوم الولايات المتحدة بتنفيذ ما يسمى «بعملية السلام». عملية سلام بالتعريف تعني ما تفعله الولايات المتحدة. فطوال ثلاثين سنة ما زالت عملية السلام الأمريكية تقوم بنسف السلام. فهل من أحد يعلم ذلك؟ لا. أعني أني إذا حدثت جمهوراً من المتعلمين، جمهوراً من الأكاديميين، حول ذلك، فلن يعرف أحد عما أتكلم. لا يمكن ذلك، إذ كيف يمكن أن تكون الولايات المتحدة هي التي تنسف السلام؟

س: لماذا تقف الولايات المتحدة وإسرائيل معاً دائماً ضد بقية العالم فيما يتعلق بقرارات الأمم المتحدة؟

تشومسكي: الولايات المتحدة تكون دائماً الوحيدة ضد بقية العالم لأن إسرائيل لا تصوّت في مجلس الأمن. أعني أنها لا تستطيع فعل شيء بشأن أية قضية تتعلق بالشرق الأوسط. ومرَّة أخرى، هناك اعتقاد سائد في الغرب هو أن الروس كانوا يسدون الطريق على أي عمل تقوم به الأمم المتحدة إلى أن انهارت الشيوعية. والواقع أن تعليقاً ظهر في نيويورك تايمز إثر انهيار الاتحاد السوفياتي يقول: ستكون الأمم المتحدة قادرة، أخيراً، على العمل من دون الفيتو الروسي.

إن النظر إلى سجل الفيتو يلقي ضوءاً ساطعاً على الأمور. فسجل الفيتو واضح وواقعي، ليس فيه ما يثير الجدل. من الواضح أن الروس كانوا يستخدمون الفيتو بكثرة بين أربعينات القرن العشرين وخمسيناته. والسبب واضح، هو أن الولايات المتحدة كانت قوية جداً بحيث تستطيع تسخير الأمم المتحدة لخدمة سياستها الخارجية؛ ولهذا كان الروس يستخدمون الفيتو في أمور عديدة.

أخذت الأحوال تتغير بحلول خمسينات القرن العشرين. إذ بدأت عملية إنهاء المستعمرات. فأصبحت الأمم المتحدة أكثر تمثيلاً للعالم. وانتعشت بلدان صناعية أخرى. وما إن حلت ستينات القرن نفسه حتى خرجت الأمم المتحدة عن السيطرة. ومنذ ذلك الوقت والولايات المتحدة في الطليعة فيما يتعلق باستخدام الفيتو. وتأتي بريطانيا بعدها، أما فرنسا فتأتي بالدرجة الثالثة، ولكنها أقل استخداماً للفيتو من أمريكا

وبريطانيا بكثير. ويأتي الروس في الدرجة الرابعة. وهذا معاكس للصورة القياسية. وليس هذا التصنيف صحيحاً بالنسبة للشرق الأوسط فحسب، بل بالنسبة لجميع أنواع القضايا الأخرى.

والسبب بسيط جداً. لا تقبل أقوى دولة في العالم سلطة دولية فوق سلطتها. ولا تقبل ذلك أية دولة أخرى إن استطاعت إلى ذلك سبيلاً. فلو استطاعت أندورّا (Andorra) ذلك لما توانت. ولكن ليس هناك في العالم من يستطيع أن يفعل ما يريد إلا الأقوياء.

س: يبدو أن الولايات المتحدة تتجاهل الرأي الأوربي.

تشومسكي: لقد تجاهلته باستمرار.

س: ولكن تجاهلها له اليوم أكثر.

تشومسكي: إنها تتجاهل حتى رأيها هي. ولنأخذ الشرق الأوسط مثالاً، مرّة أخرى. إن غالبية الرأي العام الأمريكي، بل الغالبية الكبرى، تدعم الخطة السعودية. في حين أن الولايات المتحدة تعارضها. فإن قلت للشعب: «انظروا، إنها حكومتكم هي التي تحول دون رأيكم الداعم للخطة». فلن يعرفوا عمّا تتحدث، لأن ما من أحد يعرف ذلك، ولمعرفة هذه الحقيقة لا بد من مشروع بحثي.

وهكذا فإن الولايات المتحدة تتجاهل رأياً محلياً أمريكياً؛ وليس التجاهل ابن يومه، بل هو مستمر أبداً. وليست

الولايات المتحدة وحدها تمارس هذا السؤال، بل أية دولة تقدر على ذلك فإنها لن تتخلف.

س: هل سيتغير هذا الوضع؟

تشومسكي: لقد تغير. الأمور الآن أفضل مما كانت عليه قبل ثلاثين أو أربعين سنة. فمثلاً، تخضع حكومة الولايات المتحدة الآن لمتطلبات حقوق الإنسان المفروضة من قبل الكونغرس على شحنات الأسلحة وما إلى ذلك. فهم يحاولون دائماً إيجاد سبل للتملص من هذه المتطلبات، ومع ذلك فإن القيود موجودة. فلم هي موجودة؟ تلك هي نتيجة ستينات القرن العشرين ثانية.

فسكان البلاد أكثر تحضراً اليوم مما كانوا عليه قبل أربعين سنة، وتحضرهم في ازدياد. وذلك يسفر عن فرض قيود على عنف الدولة.

ليست هناك وسيلة أخرى. أعني، لا توجد قوة خارجية تستطيع فرض قيود على عنف أقوى الدول، سواء كانت أقوى الدول هي الولايات المتحدة أو سواها. بيد أن القيود يمكن أن تفرض من الداخل.

س: عندما كنت في بالو ألتو (Palo Alto) تحدثت عن عسكرة الفضاء وبينت الفروق بين أقوى دولة في العالم وبقية بلدانه. وأوضحت أن هذه الفروق، وتلك الفجوة، تزداد اتساعاً. فهل لذلك أثر جوهري على الطريقة التي تجري الأمور بموجبها؟

تشومسكي: نعم. الواقع أن قيادة الولايات المتحدة الحالية متطرفة في هذا السياق. ولكن الأمريكيين ملتزمون بصراحة ووضوح باستخدام العنف للسيطرة على العالم، وهم يقولون ذلك علناً.

وهكذا، عندما كان الأمير السعودي عبد الله هنا قبل أسبوعين، حاول إقناع الولايات المتحدة تلطيف دعمها للعنف الإسرائيلي. ومما قاله الأمير عبد الله: «ثمة انتفاضة على وشك التفجر في الوطن العربي، الأمر الذي يعرض مصالحكم للخطر، كسيطرتكم على النفط». فكان رد الإدارة الأمريكية غريباً.

قيل له - ويمكنك قراءة ذلك في نيويورك تايمز - ما يلي:

«انظر ما فعلناه في العراق أثناء عاصفة الصحراء؛ نحن اليوم أقوى عشر مرات مما كنا عليه حينذاك. وإن كنت تريد معرفة مدى قوتنا فانظر ما فعلناه في أفغانستان.. كل ذلك لنبين لك ما يمكن أن يحدث إن لم تفعلوا ما نطلبه منكم. إننا لا نأبه بما تفكرون به».

ذلك هو موقف الحكومة الأمريكية. إنهم يقولون ذلك، وهو واضح في تصرفاتهم. ليس في ذلك أي خير للعالم ولا حتى لشعب الولايات المتحدة.

س: يبدو أنه لم يعد بإمكاننا خوض حرب كحرب فيتنام، حرب طويلة الأمد مثلها.

تشومسكي: لأنه لا يوجد دعم شعبي لمثل هذه الحرب.

س: ولكن إخضاع الشعب إلى شيطان مثل صدام حسين وطالبان، من جهة أخرى، يعطي الحكومة الأمريكية سلطة طليقة.

تشومسكي: ذلك خيار الطبقات المثقفة. ولنأخذ صدام حسين مثالاً. في كل مرَّة يدعو فيها بلير أو بوش أو كلينتون أو مادلين أولبرايت، للحرب على العراق، يقولونها بالطريقة ذاتها. يقولون: إنه أسوأ وحش في التاريخ. فكيف نسمح له بالبقاء على قيد الحياة؟ لقد ارتكب الجريمة الكبرى: استخدم الغاز «ضد شعبه»، فكيف يمكن لمثل هذا الشخص أن يبقى؟

كل ذلك صحيح ما عدا ما هو محذوف من الكلام: استخدم الغاز ضد «شعبه» [الأكراد ليسوا شعبه تماماً] بفضل «دعمنا». لقد نفذ عملية الأنفال التي ربما راح ضحيتها مئة ألف كردي بفضل «دعمنا». كان يطور أسلحة دمار شامل في وقت كان يشكل فيه خطراً حقيقياً، ونحن الذين أمددناه بالعون والدعم لإنجاز ذلك، ونحن بكامل وعينا. كان صديقاً وحليفاً لنا، وما زال كذلك.

حاول أن تجد أحداً أضاف هذه الكلمات إلى أي تعليق. إنه وحش، ولكنه كان كذلك بفضل دعمنا، لأننا لا نهتم بالشعوب. لم يكتب أحد ذلك. نعم. إنهم قادرون على تحويل صدام حسين إلى شيطان ولكن عليهم استبعاد واقعة أن أسوأ

الجرائم قد ارتكبت بدعم من الولايات المتحدة وبريطانيا. وليس هذا تحويلاً له إلى شيطان، بل هو شيطنة مختارة.

وأكثر ما تجده أحياناً أننا لا نعير اهتماماً لما يرتكب من جرائم. ليس الأمر أننا لا نأبه، بل نحن لا نهتم. القيادة لا تهتم بهذا الأمر، إذا كان يقوم بخدمة قيّمة، بغض النظر عن بشاعتها. والواقع أن العراق هو البلد الوحيد بعد إسرائيل، الذي سمح له بمهاجمة سفينة أمريكية من سفن الأسطول الأمريكي وقتل خمسة وثلاثين بحَّاراً. لم تستطع معظم البلدان فعل ذلك. بيد أن إسرائيل فعلت ذلك في العام ١٩٦٧ والعراق كذلك في العام ١٩٨٨.

أصابت صواريخ عراقية مدمرة أمريكية في الخليج، وقتلت على ما أظن خمسة وثلاثين بحاراً. فلم نأبه بذلك. فالعراق صديق وحليف. صدام حسين رجلنا؛ لذلك كان الأمر مجرد خطأ. لم يستطع آخرون فعل ذلك، إذ لا بد لمن يسمح له فعل ذلك أن يكون في أعلى قائمة الأصدقاء. وكانت تلك قمة أعماله الوحشية.

س: لنقل، على عجل: إن تورط اليابان في إندونيسية وتيمور الشرقية، يدخل في إطار هذا النوع من التحالف. إذ قدمت اليابان مساعدات كبيرة للتنمية عبر البحار.

تشومسكي: أكثر من ذلك. لقد رأيت بعضها مباشرة. لم أتكلم حول ذلك أبداً، ولكن إن كنت تريد أن تعرف، فإني كنت شاهداً في الأمم المتحدة بشأن تيمور الشرقية في العام

١٩٧٨، على ما أظن. إذ سعت بعض المجموعات الكنسية وسواها لإقناع الأمم المتحدة للسماح ببعض الشهادات الناقدة الحاسمة.

أتذكر أني قضيت يوماً كاملاً في مبنى الأمم المتحدة أنتظر استدعائي للشهادة، ولكن ذلك لم يحصل بسبب المناورات البيروقراطية الساعية لحجب الشهادة. ظننت بادئ الأمر أن الولايات المتحدة وراء تلك المساعي، ولكن تبين أنها اليابان. لأن اليابان كانت تحمي إندونيسية بحيث لا تريد السماح بإدلاء شهادة في الأمم المتحدة يمكن أن تنتقد الغزو الإندونيسي، وكان ذلك قمة الأعمال الوحشية.

لم يكن اليابانيون وحدهم. الواقع أن العالم حافل بمثل هذه السجلات. أعني، أنها كبتت كلها الآن. ولكن يأتي في قمة الأعمال الوحشية قيام الولايات المتحدة بتزويد المرتكبين لهذه الأعمال بغالبية السلاح. دخلت بريطانيا على الخط في العام ١٩٧٨. إنها الحكومة العمالية، ليست تاتشر. كانت الأعمال الوحشية قد بلغت ذروتها في العام ١٩٧٨ عندما بلغ عدد التيموريين الذين قتلوا مئتي ألف نسمة. فرأت بريطانيا في ذلك فرصة لإرسال السلاح. وأصبحت بريطانيا المورد الرئيس للسلاح حتى غاية العام ١٩٩٩. ثم انضمت فرنسا بعد سنتين، وكذلك السويد وهولندا؛ وكل من استطاع أن يجني ربحاً أو يحصل على امتيازات بفضل ذبح التيموريين الشرقيين، كان سعيداً لأن يفعل ذلك. والآن، يهلل الجميع للدولة الجديدة

التي صنعناها بكرمنا، لقد ولّى ذلك كله. ليس هذا الحدث تاريخاً قديماً، ومع ذلك فقد ولّى.

س: السؤال الذي يخطر ببال الناس دائماً هو الربط بين عملك في حقل اللسانيات وعملك السياسي.

تشومسكي: ليست هناك أية علاقة مباشرة. ربما أكون طوبولوجياً جبرياً، ومع ذلك أفعل الأشياء نفسها التي أفعلها الآن. ربما تكون هناك علاقة بعيدة. الناس يهتمون باللسانيات لأسباب متنوعة، ولكن اهتمامي بصورة خاصة كان منذ البداية وعبر خمسين سنة، طريقاً لاستكشاف مظاهر الطاقات العقلية البشرية الأعلى وجوانبها، وفي النهاية استكشاف الطبيعة البشرية التي تتجلى في كل ميدان. حدث أن اللغة تعد واحداً من الحقول التي يستطيع المرء أن يدرس من خلالها جوهر الطاقات البشرية، الطاقات الفريدة الجوهرية بطريقة مكثفة، والوصول إلى نتائج أبعد من الفهم السطحي. وهذا أمر من الصعب القيام به أو إنجازه في معظم الحقول المعرفية الأخرى.

يوجد في صلب المقدرة اللغوية هذه المعترف بها منذ قرون، ما يُسمى بالجانب الإبداعي، القدرة الطليقة للقيام بما نقوم به أنا وأنت - أي التعبير عن أفكارنا من دون حدود، ضمن قيود، ولكن بلا حدود، بطرق جديدة وما إلى ذلك. هذه المقدرة تعد جزءاً أساسياً من الطبيعة البشرية. ذلك هو جوهر الفلسفة الديكارتية، على سبيل المثال. إذ يمكنك أن تتعلم

شيئاً، ليس كيف تقوم به، فذلك لا يحتاج لتقصٍّ، بل حول الآلية التي تدخل فيه على الأقل.

حسناً، تثار أسئلة مماثلة في كل جانب من جوانب القدرة البشرية ومظاهرها. ذلك أمر تقليدي. فمثلاً، بيّن ديفيد هيوم (David Hume) قبل مئتين وخمسين سنة أن أساس الأخلاق ينبغي أن يكون ما نسميه اليوم النحو التوليدي. لم يطلق عليه الاسم نفسه، ولكن كانت مجموعة من المبادئ يمكننا تطبيقها في الأوضاع الجديدة؛ ومرَّة أخرى، من دون حدود. وقال: «إن هذه المبادئ لا بد أن تكون جزءاً من طبيعتنا، لأنه ما من سبيل لاكتسابها بالخبرة». لم يوضح ذلك، ولكن ما نجم عن ذلك هو أنه لا بد أن تكون هذه المبادئ موحدة. لم يقل ذلك في الواقع لأنه لم يكن يعتقد في ذلك الحين أن البشر متماثلين، أما الآن فنحن نعلم أنه يمكن تبادل البشر فيما بينهم، أي إنهم متماثلون. هنالك فروق جينية طفيفة في الأنواع، طفيفة جداً. إذ ربما نشأنا من مجموعة صغيرة منذ زمن ليس ببعيد، وهكذا فنحن في الأساس مخلوق واحد، الأمر الذي يعني أن هذه المبادئ يجب أن تكون موحدة كذلك.

كذلك يمكنك من الناحية النظرية أن تتعلم شيئاً حول جوانب الطبيعة البشرية ومظاهرها هذه، منتقلاً إلى ميدان الشؤون الإنسانية بما في ذلك السياسة، والحياة الشخصية أو أي شيء آخر، أيضاً. أي امرئ يتخذ موقفاً تجاه أي شيء - كأن يكون مع بقاء الأشياء كما هي أو مع إجراء إصلاح بسيط، أو القيام بثورة، أو أي شيء آخر. فإن كنت جاداً،

وإن كنت تتصرف بناء على مفهوم أخلاقي تعتقد أنه يلبي معايير أخلاقية، بالحد الأدنى، فإنك تتخذ ذلك الموقف لاعتقادك أنه لصالح الناس. لأنه سوف ييسر التعبير عن الطبيعة الإنسانية الجوهرية، ويتيح لهذا التعبير احتمالات حدوثه.

عن هذه النقطة، هناك علاقة نظرية ولكنها مجردة؛ لأنك عندما تتعامل مع أي شيء معقد كالكائن البشري، تظل دائماً على السطح. والواقع أننا لا نستطيع الإجابة عن مثل هذه الأسئلة فيما يتعلق بالحشرات. إذ سوف يستغرق الأمر زمناً طويلاً قبل أن يستطيع المرء الحصول على فهم علمي لأي من مثل هذه الأسئلة، هذا إذا تمكن المرء أصلاً من الوصول إلى ذلك. لهذا هناك نوع من العلاقة في الروح، ولكنها ليست علاقة استنتاجية.

س: ولكن هناك إحساس بتوجهك إلى المبادئ الأولى في الشؤون السياسية والأخلاقية..

تشومسكي: الأمر متشابه. إنه نوع من التشابه الأسري، ولكننا لا نعرف مكاناً قريباً بما يكفي لأن نفكر في رسم علاقات وثيقة.

ملاحظة

١ - في مارس من العام ١٩٩٥ هاجم أعضاء في مجموعة يابانية اسمها AUM شينريكيو (Shinrikyo) طريقاً تحت الأرض في طوكيو بفتح أنبوب غاز سام، وقتلوا اثني عشر شخصاً وأصابوا آلافاً بأضرار.

الجزء الثاني

السلاح الأمريكي

حقوق الإنسان والصحة الاجتماعية

الجزء الثاني

السلاح الأمريكي

حقوق الإنسان والصحة الاجتماعية

حديث رعته كلية ألبرت أنشتاين (Albert Einstein)
لجمعية طلاب الطب المسلمين وغيرهم في مركز مونتيفيوري الطبي
(Montefiore Medical Centre) برونكس (Bronx)
نيويورك، ٢٥ مايو (أيار)، ٢٠٠٢م
متبوع بمقتطف من جلسة «سؤال وجواب» مع جمهور الحاضرين

تشومسكي: إن ما أريد النظر فيه معكم اليوم هو دور الولايات المتحدة في العالم - ما هو اليوم، وكيف يكون في الغد. لا بد وأن الأسباب التي تدعو إلى التركيز على الولايات المتحدة واضحة جداً بحيث لا لزوم لذكرها، ومع ذلك سأذكرها. إن أكثر الأسباب وضوحاً هو أن الولايات المتحدة أهم قوة في العالم. فلديها قوة عسكرية شاملة غامرة، وأشكال أخرى من القوة. ولها بصمات حاسمة على كل ما حدث في تاريخ العالم المعاصر.

والسبب الثاني، طبعاً، هو أننا هنا. في الولايات المتحدة نتمتع بدرجة غير عادية من الحرية، والامتياز للغالبية منا. وذلك يجعلنا نتحمل مسؤولية أعمالنا ونفوذنا في السياسة. حتى ولو لم تكن الولايات المتحدة أقوى بلد في العالم، فلا بد أن تكون تلك المسؤولية همنا الأولي.

أعتذر، حتى عن ذكر ذلك. فهي بدهية ناصعة لا لزوم لذكرها وما ذكري لها إلاً لأنه عندما يحاول المرء تتبع هذا المسار الواضح الشفاف الذي يتبع البدهيات الأخلاقية والسياسية الأولية يجد أنها تظهر له أكثر ردود الفعل خداعاً وتآمراً. سوف لا أتحدث عن ذلك، ولكن من الجدير التفكير فيه.

من الوسائل التي نعيش بفضلها دور الولايات المتحدة في العالم - وهناك وسائل عديدة - هي النظر إلى المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة، وبصورة خاصة المساعدات العسكرية. لا يتسم الموضوع بالجاذبية، لأن مساعدات الولايات المتحدة الأجنبية، كما هو معروف تماماً، أكثر تعاسة من مساعدات أي بلد صناعي كبير. وإذا ما استثنينا المكوّن الذي يذهب إلى بلد غني واحد، وإلى بلد آخر متوسط الثراء [بسبب ارتباطه ببلد غني]، وأعني به إسرائيل ومصر، فلن يبقى ما نتحدث فيه. ومع ذلك، إن حُسب كل شيء تظل المساعدة هامشية بصورة غريبة مضحكة، وفي تناقص.

ورغم ذلك، هناك بعض المساعدات، التي هي في واقع الأمر مساعدات عسكرية كبيرة. وهذا ما يجدر النظر فيه، لأنه

يدل على ما تقوم به الولايات المتحدة في العالم، ليس مجرد دلالة، بل دلالة جيدة. ما زالت العلاقة بين المساعدات الأمريكية وسياستها الخارجية موضوع بحث أكاديمي.

من الدراسات المشهورة تلك التي أجراها مختص أكاديمي في حقوق الإنسان في أمريكا اللاتينية، هو لارس شولتز (Lars Schoultz) من جامعة نورث كارولاينا (North Carolina) حول مساعدات الولايات المتحدة لأمريكا اللاتينية. كتب مقالة قبل عشرين سنة بين فيها وجود علاقة وثيقة جداً بين المساعدات الأمريكية والإساءة إلى حقوق الإنسان في أمريكا اللاتينية. ولنقتبس ما قاله: «تتدفق المساعدات الأمريكية بصورة غير متكافئة على حكومات أمريكا اللاتينية التي تعذب مواطنيها.. إلى أفظع منتهكي حقوق الإنسان في نصف الكرة الأرضية ذاك». كان ذلك قبل عشرين سنة.

وفي الوقت نفسه تقريباً، أجرى إدوارد هيرمان (Edward Herman) زميلي في تأليف كتابي، وعالم اقتصادي في مدرسة وارتون (Wharton) التابعة لجامعة بنسلفانيا (Pennsylvania) دراسة موسعة في المسألة نفسها، وبصورة خاصة في العلاقة القائمة بين مساعدات الولايات المتحدة والتعذيب. وبينت تلك الدراسة وجود علاقة كبيرة مذهلة قميئة بين المساعدات الأمريكية والتعذيب. فإذا ما ألقيت نظرة على سجلات هيئة العفو الدولية بشأن التعذيب، وعلى المساعدات الأمريكية الأجنبية فلسوف تجد العلاقة بينهما وثيقة جداً.

لا تدل العلاقات الإحصائية بوضوح على العلاقات السببية ليس من المحتمل أن يكون لحكومة الولايات المتحدة أي اهتمام خاص بالتعذيب.

ولهذا أجرى دراسة أخرى، أهم من سابقتها بكثير. إذ درس العلاقة بين المساعدات الأمريكية وعوامل أخرى، فوجد أن من أفضل العلاقات هي تلك القائمة بين المساعدات الأمريكية وتحسين المناخ الاستثماري. وبالتالي ترتفع المساعدات الخارجية حيث تتحسن فرص المستثمرين في استخراج موارد بلد ما.

تلك علاقة طبيعية جداً، ومفهومة تماماً. وهذا ما يتوقع المرء أن سياسة الولايات المتحدة تسير في اتجاهه. وهذا هو واقع الأمر. ولا تعد العلاقة بين المساعدات وتحسين المناخ الاستثماري أمراً غريباً.

حسناً، كيف يتحسن المناخ الاستثماري في بلد من بلدان العالم الثالث؟ من أفضل السبل قَتْلُ منظمي الاتحادات واغتيال زعماء الفلاحين، وتعذيب الكهنة، وذبح الفلاحين، ونسف البرامج الاجتماعية، وما إلى ذلك. تلك هي السبيل لتحسين مناخ الاستثمار. وهذا يولد علاقة ثانوية أخرى، تلك العلاقة التي اكتشفها لارس شولتز، ألا وهي العلاقة بين المساعدات الخارجية وانتهاكات حقوق الإنسان الفاضحة.

وإليكم التفسير. لا يُفهم الأمر وكأن للولايات المتحدة مصلحة خاصةً بانتهاكات حقوق الإنسان. بل هناك علاقة

طبيعية بين المساعدات وبين موضوع الاهتمام وكيفية تحقيق ذلك.

حسناً؛ كان ذلك قبل عشرين عاماً. لقد تسلَّمت إدارة ريغن (Reagan) مسؤولياتها في الولايات المتحدة في الوقت الذي ظهرت فيه هذه الدراسات، كما تذكرون. أعلنت إدارة ريغان لدى تسلمها زمام السلطة بصوت عال وواضح أن محور سياسة الولايات المتحدة الخارجية هو «الحرب على الإرهاب». وركزت إدارته بصورة خاصة على ما أسماه وزير الخارجية حينذاك جورج شولتز (George Schultz) «بلاء الإرهاب الخبيث» ذلك «الطاعون الذي نشره المعارضون الفاسدون للحضارة نفسها». عودة إلى «البربرية في العصر الحديث».

تابع شولتز، الذي كان يعد معتدلاً في إدارة ريغن، القول: «لا بد من التعامل مع الإرهاب بالقوة والعنف، وليس بالوسائل الطوباوية الشرعية كالتوسط والمفاوضات وما إلى ذلك» مما كان يعد علامة على الضعف. وصرحت إدارة ريغان أنه ينبغي تركيز الحرب على منطقتين حيث الجريمة أشد، وهما أمريكا الوسطى والشرق الأوسط.

ولنلتفت الآن إلى النتائج ما الذي حدث في أمريكا الوسطى والشرق الأوسط؟ تذكروا أننا ما زلنا نتساءل عن العلاقة القائمة بين المساعدات الأمريكية وجوانب السياسة الأخرى. [وبالمناسبة، لا بد من ذكر ما وجده لارز شولتز في

دراسته من علاقة بين انتهاكات حقوق الإنسان الفاضحة والمساعدات العسكرية. إذ لم يكن للمساعدات صلة بحاجة البلد الذي يتلقاها، وضرب أمثلة على ذلك. واستمر الأمر كذلك طوال عهد إدارة كارتر حتى العام ١٩٨٠. لقد استمر برغم الكلام المنمّق حول حقوق الإنسان.

فما الذي حدث في أمريكا الوسطى والشرق الأوسط في ثمانينات القرن العشرين بشأن «الحرب على الإرهاب»؟ تحولت أمريكا الوسطى إلى مقبرة. إذ ذبح مئات الآلاف من الناس - حوالي مئتي ألف - وأصبح أكثر من مليون نسمة لاجئين، وأيتاماً، وكتلاً من العذاب، وارتكبت كل ما يمكن تصوّره من أعمال وحشية.

فمثلاً، كان على الولايات المتحدة شن هجوم على نيكاراغوا لأن هذه الأخيرة لم تكن تملك جيشاً ينفذ أعمال الإرهاب في شعبه كما فعلت بلدان أخرى. كان الهجوم الأمريكي على نيكاراغوا خطيراً جداً؛ إذ أسفر عن مئات الآلاف من القتلى، وتدمير البلاد تدميراً كاملاً. فأصبحت نيكاراغوا الآن ثاني أفقر دولة في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، ولن تنتعش بعد ذلك أبداً.

وبما أن الولايات المتحدة، في هذه الحالة، كانت تهاجم بلداً، وليس شعب ذلك البلد فحسب [كما كان الحال في السلفادور، وغواتيمالا، وهندوراس]، كان ذلك البلد قادراً على اتباع وسائل الاستعانة المتاحة للدول. فكان رد فعلها

بالطريقة التي من المفروض أن تتبعها أية دولة ملتزمة بالقانون في الرد على الإرهاب الدولي الجماعي: أي اللجوء إلى المؤسسات الدولية. فأول ما فعلته نيكاراغوا، هو الذهاب إلى المحكمة الدولية التي أدانت الولايات المتحدة بالإرهاب الدولي بسبب «استخدامها اللاشرعي للقوة»، ولانتهاكها المعاهدات. فأمرت الولايات المتحدة أن تنهي الجرائم وتدفع تعويضات كبيرة.

وكان رد فعل الولايات المتحدة تصعيد الحرب (بتأييد من حزبين) فأعطت لأول مرَّة أوامر رسمية بمهاجمة ما يسمى بـ «الأهداف اللينة» - مثل المستوصفات الصحية، والتعاونيات الزراعية، وما إلى ذلك. وتابعت هذا الهجوم إلى أن صوت الشعب في النهاية لمرشح الولايات المتحدة الأمريكية رئيساً للبلاد، فتوقف الرعب في العام ١٩٩٠.

وبعد رفض الولايات المتحدة لحكم المحكمة الدولية لجأت نيكاراغوا إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وكان من الممكن إدانة الولايات المتحدة، لكن الأخيرة استخدمت الفيتو ضد قرار يطالب جميع الدول بمراعاة القانون الدولي. وهكذا فإن الزعيم الحالي «للحرب على الإرهاب» هو الدولة الوحيدة في العالم التي أدانتها المحكمة الدولية بالإرهاب والتي استخدمت الفيتو ضد قرار لمجلس الأمن يدعو جميع الدول إلى احترام القانون الدولي، وهي حقيقة ذات صلة بالوضع الحالي. من الصعب أن تجدوا في الصحافة أي ذكر لما أتحدث عنه،

والذي له علاقة بالطور الأول من «الحرب على الإرهاب» التي لها صلة واضحة بالوضع.

ماذا جرى في بلدان أمريكا الوسطى الأخرى؟ لقد خشيت أن يحل بها أسوأ مما حل بنيكاراغوا. ففي نيكاراغوا جيش دافع عن الشعب. أما في البلدان الأخرى فإن القوة الإرهابية التي كانت تهاجم الشعب هي الجيش. وكان الأمر حينذاك في السلفادور وغواتيمالا أسوأ مما كان عليه الحال في نيكاراغوا.

لقد أصبحت السلفادور عملياً المتلقي الرئيسي للمساعدات العسكرية الأمريكية خلال تلك الفترة (باستثناء إسرائيل ومصر اللتين تعدان فئة خاصة منفردة). إذ كانت السلفادور تنفذ أسوأ الأعمال الوحشية. وإن كنتم تريدون معرفة مدى النجاح الذي حققته في هذا الميدان، ما عليكم إلا أن تلقوا نظرة على الوثائق التي أصدرتها إحدى مدارس الأمريكيين المشهورة. من الشعارات - أو من أحاديثهم، كما وصفوها - (إنني أقتبس فقط) هو الشعار القائل: «يساعد الجيش الأمريكي على إلحاق الهزيمة بلاهوت التحرير». ذلك الشعار دقيق تماماً. إذ من أهداف الولايات المتحدة الأساسية في «الحرب على الإرهاب» هو الكنيسة الكاثوليكية بسبب ارتكابها خطأً جسيماً (بنظر الولايات المتحدة) بدعوتها إلى «إيلاء الأولوية إلى الفقراء» ولهذا كان لا بد من معاقبتها.

أما السلفادور فتعد مثالاً دراميًا. إذ افتتح عقد ثمانينات

القرن العشرين بمقتل رئيس أساقفة، وانتهى بمقتل ستة من المفكرين اليسوعيين البارزين. أما الولايات المتحدة فقد أنزلت هزيمة بلاهوت التحرير.

ومن الحقائق الممتعة حول ثقافتنا الفكرية أن أحداً لا يعلم شيئاً عن هذه الحقيقة. أما إذا قتل ستة من المفكرين التشيك البارزين ورئيس أساقفة على يد قوات يدعمها، ويسلحها، ويدربها الروس، فلا بد عندئذ من أن نعلم بذلك. سوف نعرف أسماءهم ونقرأ كتبهم. يمكنكم أن تخوضوا تجربة بسيطة وتحاولوا معرفة كم من الناس الذين تعرفونهم، من المثقفين، يستطيعون أن يذكروا لكم أسماء المفكرين اليسوعيين - المفكرين البارزين من أمريكا اللاتينية الذين قتلوا على يد القوات النخبة التي سلحناها نحن ودربناها - أو اسم رئيس الأساقفة، أو اسم أي من السبعين ألف قتيل معظمهم من الفلاحين، كالمعتاد.

إنك تعرف الإجابات دون تدقيق، وتخبرنا الإجابات بما هو ممتع عن أنفسنا، تخبرنا بشيء لا بد لنا من معرفته.

ذلك هو نجاح «الحرب على الإرهاب» في أمريكا الوسطى، التي تعد أول بؤرة تركيز في هذه الحرب.

فما الحال في الشرق الأوسط البؤرة الثانية «للحرب على الإرهاب»؟ كانت هناك في الشرق الأوسط أعمال وحشية إرهابية كثيرة تدعمها وتغذيها الدولة، في ذلك الحين. أسوأ هذه الأعمال الوحشية، مع هامش كبير، كان الغزو

الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢، التي أسفرت عن مقتل عشرين ألف شخص.

كان ذلك إرهاباً عالمياً. وتمكن الغزو من الاستمرار بفضل الضوء الأخضر الذي أعطته الولايات المتحدة لإسرائيل وتزويدها بالسلاح وبالدعم السياسي - مستخدمة الفيتو ضد العديد من قرارات مجلس الأمن التي حاولت وقف القتال وسحب القوات الغازية. وكانت تلك الحرب ناجحة جداً أيضاً. إذ أشار رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الليفتنانت جنرال رافائيل إيتان (Rafael Eitan) أن العملية كانت ناجحة. فقد أخرجت منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها عاملاً في المفاوضات حول الأراضي المحتلة.

الواقع أن هذه هي غاية الحرب، إذ لا شأن لإسرائيل بلبنان. لقد أُعلن في إسرائيل صراحة أن الحرب كانت من أجل الأراضي المحتلة. ذلك أن منظمة التحرير أصبحت مصدر إزعاج لإصرارها على حل الصراع بالتفاوض. أما إسرائيل فلم تكن تريد ذلك، فحققت لها الحرب نجاحاً في تدمير (م.ت.ف) وطردها من المنطقة وذلك في حد ذاته نجاح عظيم.

هذا شرح لكتاب مدرسي حول الإرهاب الدولي. فلو أخذنا بتعريف الحكومة الأمريكية الرسمي للإرهاب - التهديد أو استخدام العنف لتحقيق غايات سياسية أو دينية أو غير ذلك من خلال تخويف الناس ونشر الخوف في صفوف

المدنيين، وما إلى ذلك - يكون الغزو الإسرائيلي للبنان قتالاً توضيحياً لهذا التعريف الذي يصلح أن يكون في كتاب مدرسي. فلا يمكن الحصول على مثال أوضح من ذلك. إرهاب دولي يتم بفضل دور الولايات المتحدة الحاسم فيه.

لاحظوا أني أمنح الولايات المتحدة منفعة الشك. إذ ربما تقولون: إن هذا أسوأ من الإرهاب الدولي، فهو عدوان مباشر صارخ. والواقع، هكذا ينبغي أن يوصف. وبالتالي، ما دام أنه عدوان مباشر وواضح فلا بد من إحضار قادة الولايات المتحدة وإسرائيل إلى محاكمات كمحاكمات نورمبورغ (Nuremberg).

ولكن لكي نمنحهم فرصة الاستفادة من الشك، أطلقنا على سلوكهم العدواني صفة «الإرهاب الدولي». إنها حالة واضحة، بل هي أسوأ حالات ذلك العقد حتى الآن.

لقد مضى عشرون عاماً، في الولايات المتحدة، على الأكاذيب المتعلقة بأسباب هذه الحرب. ولكن لا بد من الثقة حيث يكون الأمر جديراً بالثقة. فقد كشفت النيويورك تايمز أخيراً في ٢٤ يناير من العام ٢٠٠٢ الحقيقة. فإن قرأتم ذلك العدد بعناية ستجدون جملة مدفونة في ثنايا مقال حول موضوع آخر كتبه جيمس بينيت (James Bennet) تشي بهذه الحقيقة.

لأول مرة أرى هذه المقالة في الولايات المتحدة، كان الكاتب يصف ما كان معروفاً في إسرائيل قبل عشرين سنة، وما كان بإمكانكم قراءته في أدبيات المعارضة خلال العشرين

سنة المنصرمة استناداً إلى مصادر إسرائيلية: ذلك أن الحرب قد شُنَّت لأسباب سياسية فقط. كانت حرباً من أجل الضفة الغربية. إذ كانت الغاية من الحرب إنهاء التهديد بالمفاوضات الصادر عن الفلسطينيين.

ذلك صحيح. وكانت حقيقة أن الفلسطينيين كانوا يسعون لحل الصراع عن طريق التفاوض منذ عشرين سنة معروفة لدى جميع الناس في العالم إلا في الولايات المتحدة. هناك جملة، الآن، تفشي الحقيقة، ويمكنكم الاستشهاد بمجلة نيويورك تايمز حول هذه المسألة. فهذا يجعلها رسمية. الوثائق المتعلقة بهذه المسألة متوافرة بكثرة منذ الأيام الأولى للغزو الإسرائيلي. ويعد هذا تحسناً. أن تنتظروا بما فيه الكفاية، فإن أموراً حسنة سوف تحدث.

هذا هو أسوأ عمل إرهابي في الشرق الأوسط. هناك أعمال إرهابية أخرى. إذ كانت سنة ١٩٨٥ هي سنة الإرهاب في الشرق الأوسط. وقد أجرت الأسوشيتدبرس الاستطلاع السنوي. لمحرري الصحف فكان الإرهاب هو قمة حكايات ذاك اليوم. حتى في مجال المنح الدراسية حول الإرهاب كان العام ١٩٨٥ هو عام الإرهاب. ذلك مفهوم، إذ حفل ذلك العام بالإرهاب - ليس أسوأ من إرهاب العام ١٩٨٢، ولكنه سيئ بما فيه الكفاية. فأي الأعمال الإرهابية في الشرق الأوسط في ذلك العام هو الأسوأ؟ رشحت ثلاثة أعمال إرهابية لنيل الجائزة الأولى، لا يدانيها عمل آخر. الأول،

سيارة مفخخة في بيروت وضعت خارج مسجد ووقتت بحيث تنفجر أثناء مغادرة المصلين للمسجد لكي تقتل أكبر عدد ممكن. وبالفعل قتلت، إذ راح ضحيتها ثمانون قتيلاً ومئتان وخمسون جريحاً. كانت قنبلة قوية جداً بحيث قتلت أطفالاً وهم نائمون في فراشهم في بيوتهم الواقعة في ذلك الشارع.

ومعظم القتلى كانوا من الرجال والنساء الذين كانوا يغادرون المسجد بعد الصلاة. وكان هدف القنبلة قتل أحد رجال الدين، ولكنه نجا. وكشف التحقيق عن ضلوع الـ CIA والمخابرات البريطانية في هذه الجريمة بلا منازع.

هذا هو أحد الأعمال الإرهابية، التي رشحت للجائزة الأولى للعام ١٩٨٥.

أما الحدث الإرهابي الآخر المرشح لهذه الجائزة هو قيام إسرائيل بقصف تونس بعد شهرين. إذ هوجمت تونس بالقنابل الذكية فمزقت الناس أشلاء، وذهب ضحية هذا القصف حوالي خمسة وعشرين شخصاً فلسطينياً وتونسياً، وكلهم من المدنيين. وقد وصف أحد كبار المراسلين الإسرائيليين ذلك الحدث الإرهابي وصفاً حياً في الصحافة الإسرائيلية العبرية، ولكنه لم يذكر هنا في صحافتنا. وهذا، مرّة أخرى، إرهاب دولي. وكانت الولايات المتحدة متورطة فيه بعمق، والدليل على ذلك أن الأسطول السادس الذي كان في المنطقة لم يخبر التونسيين بذلك، علماً بأن تونس حليفة للولايات المتحدة،

وأن الأسطول السادس يعرف بأن القنابل الذكية كانت في طريقها إلى تونس.

كان رد فعل وزير الخارجية الأمريكية جورج شولتز (George Shultz) المبادرة فوراً إلى الاتصال بوزير خارجية إسرائيل، وتهنئة إسرائيل على نجاح العملية، ومعبراً عن تعاطفه مع الهجوم الإرهابي. ولكن شولتز انسحب من هذا المديح المكشوف للمذبحة عندما صدر عن مجلس الأمن قرار بالإجماع يدين إسرائيل لقيامها بعدوان مسلح، امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت عليه، وهو نوع من الإحجام.

ومرَّة أخرى، نمنح الولايات المتحدة وإسرائيل فرصة الاستفادة من الشك فنسمي ما جرى إرهاباً دولياً، بدلاً من عدوان مسلح كما يسميه بقية العالم. كان ذلك الحدث الإرهابي هو المرشح الثاني للجائزة الأولى لعام الإرهاب ١٩٨٥. لم تكن هناك أية حجة بأن ذلك العمل الإرهابي كان دفاعاً عن النفس، تماماً كما لم يكن هناك أية ذريعة للعدوان على لبنان.

والمرشح الثالث، حسبما أذكر، هو أول عملية حديدية يقوم بها شمعون بيريز (Shimon Peres) في مارس من العام ١٩٨٥ في جنوب لبنان. إذ هاجم الجيش الإسرائيلي ما أسماه قائد الجيش بـ «القرى الإرهابية»، فوقعت مذابح كبيرة وأعمال وحشية هائلة. إذ قتل الكثير من الشعب على يد الجيش الإسرائيلي أو المرتزقة التابعة له في الجنوب. كما خُطف

العديد من الناس وأخذوا إلى إسرائيل للتحقيق الذي يعني التعذيب والحبس.

لا أحد يعرف حجم الجريمة بدقة، إذ كان هناك مبدأ تتبعه الصحافة والعلماء ينص على عدم إجراء تحقيق في ما يرتكبونه هم أنفسهم من أعمال وحشية. أما فيما يتعلق بأعمال وحشية يرتكبها الآخرون، فإن عدد الضحايا يعرف حتى آخر شخص فيهم، ولكن عندما ننظر في أعمالنا الوحشية، فإننا لا نرى أي دليل عليها.

فمثلاً، ذهب ضحية الحرب الأمريكية ضد فيتنام ملايين البشر، ولكن الأرقام المعروفة لا تصل إلى الملايين. فمن يهتم بضرورة العد؟ أو من يهتم بعدّ مئات الآلاف الذين لاقوا حتفهم في فيتنام الجنوبية بسبب استخدام الولايات المتحدة للأسلحة الكيماوية؟ جرت محاولات خارج الولايات المتحدة لإحصاء العدد؛ ولكن هذه المسألة ليست قضيتنا هنا. وهكذا تسير الأمور.

لذلك، لا نعرف، في الحقيقة، كم قتيلاً في جنوب لبنان بسبب الإرهاب الإسرائيلي الدولي، أو بسبب العملية الحديدية الأولى. وقد قاد هذه الهجمات الجناح اليساري «حزب السلام» الإسرائيلي الذي كان يتسلم زمام السلطة في ذلك الوقت.

هذه هي الأمثلة الثلاثة التي أعرفها، وكلها من الدرجة ذاتها من العنف والإرهاب، ولا يدانيها عمل إرهابي دولي في

المنطقة كلها. هذه عينة من الوسائل التي تنفذ بموجبها «الحرب على الإرهاب» في المنطقة الكبرى الثانية من العالم، ألا وهي الشرق الأوسط.

كانت رحى هذه الحرب تدور في مكان آخر من العالم، أيضاً، مثل جنوب إفريقية حيث تشير التقديرات إلى مقتل حوالي مليون ونصف بسبب أعمال السلب والنهب التي كانت تقوم بها جنوب إفريقية في البلدان المحيطة بها (ناهيك عما كان يجري في داخل جنوب إفريقية). ففي عهد ريغان وحده، ما بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٨ قتل في موزامبيق (Mozambique) وأنغولا (Angola) حوالي مليون ونصف المليون، ووقعت أضرار تقدر بستين مليار دولار.

تلك هي السنون التي وصفت بأنها سنوات «الانخراط البناء» في زمن كانت فيه جنوب إفريقية حَليفاً ذا قيمة عالية للولايات المتحدة، وكان نيلسون مانديلا (Nelson Mandela) والمؤتمر القومي الإفريقي يوصفون بأنهم «أبرز المجموعات الإرهابية» في العالم. كان ذلك في العام ١٩٨٨ عندما كانت جنوب إفريقية مازالت حليفاً ذا قيمة عالية بعد الذي قامت به من أعمال وحشية في السنوات العثمانية المنصرمة. [ومرَّة أخرى أضع جانباً ما حدث في جنوب إفريقية ذاتها). ويمكننا الاستمرار بالحديث عن الأعمال الوحشية الإرهابية في جميع أنحاء العالم.

هناك عدد من الاستنتاجات نستخلصها مما سبق:

أحدها أن العلاقة بين المساعدات الأمريكية والإساءة الفائقة إلى حقوق الإنسان أصبحت وثيقة جداً، بحيث لم تعد هناك حاجة إلى دراستها أو تقصّيها. كان يمكن دراستها في ستينات القرن العشرين وسبعيناته، أما في ثمانيناته أصبحت علاقة وثيقة واضحة للغاية.

حتى إنني لأتحدث عن الصحة الاجتماعية، لأن ذلك أصبح من نافلة القول. إذ عندما تتحدث للناس عن هذه المسألة لا تكون ملزماً بالحديث عن العواقب الصحية.

أما الاستنتاج الثاني الهام فله علاقة باستمرارية الإرهاب الدولي. ليس هذا مستمراً فيما يتعلق بما حدث من قبل فحسب، بل، لو ألقيت نظرة على الذين يقودون الآن «الحرب على الإرهاب»، فإنك تتساءل ما الذي كانوا يفعلونه حينذاك؟

إن الذي يقود «الحرب على الإرهاب» الآن هو دونالد رمسفيلد (Donald Rumsfeld)، الذي كان مبعوث الرئيس ريغان إلى الشرق الأوسط مشاركاً في «الحرب على الإرهاب» التي كنت أصفها لكم قبل قليل.

أما الجانب الدبلوماسي من «الحرب على الإرهاب» الحالية فيقوده جون نيغروبونت (John Negroponte) الذي عين سفيراً للولايات المتحدة إلى الأمم المتحدة ليقود «الحرب على الإرهاب» كان في تلك الأعوام سفيراً للولايات المتحدة إلى هوندوراس التي كانت قاعدة الولايات المتحدة لعمليات

الإرهاب في المنطقة، وبصورة محددة، من أجل الإعداد للحرب على نيكاراغوا والإشراف عليها.

هذان شخصان بارزان في الحرب الحالية على الإرهاب، ولعبا دوراً هاماً جداً في الحرب الأولى على الإرهاب؛ ولم يكونا الوحيدين وهذا يوحي بأمر ما. المؤسسات نفسها، السياسات نفسها، الأشخاص أنفسهم. ولسوف تتوقعون النتائج ذاتها إن رغبتم في التفكير في ماهية الطور الثاني للحرب الحالية على الإرهاب.

يبحث هذا في الدراسات المتخصصة. ولنأخذ مثالاً محدداً، ونُلق نظرة على عدد ديسمبر ٢٠٠٢ من مجلة التاريخ الحالي (Current History) - وهي مجلة متخصصة جادة - متفرغة لبحوث الإرهاب وإشكالات الإرهاب. وقد عَرَّف المؤلفون الذين هم من العلماء والمحللين البارزين ثمانينات القرن العشرين بأنها عقد إرهاب الدولة؛ وهذا صحيح تماماً. لقد كان بالفعل عقد إرهاب الدولة.

يصفون الولايات المتحدة بأنها قاومت إرهاب الدولة في تلك الفترة عن طريق اتخاذ «إجراءات استباقية»، وبالتالي فإن الأعمال التي وصفتها قبل قليل هي في نظرهم إجراءات استباقية دفاعاً ضد الإرهاب. كما قالوا: إن الحرب ضد نيكاراغوا التي أدينت الولايات المتحدة بسببها من قبل المحكمة الدولية، تعد نموذجاً جيداً لما ينبغي فعله في المستقبل ضد الإرهاب. وبالتحديد أوضح اثنان منهم أن حرب «الكونترا»

ضد نيكاراغوا كانت نموذجاً جديداً لدعم الولايات المتحدة للتحالف الشمالي في أفغانستان.

كذلك تحدثت المجلة عن عام ١٩٨٥ في الشرق الأوسط. وعُرِّف هذا العام بأنه ذروة فترة الإرهاب. وأعطي على ذلك مثلين غير اللذين ذكرتهما. والمثلان اللذان ذكر البيان أن العام ١٩٨٥ هو قمة الفترة الإرهابية هما حدثان قتل في كل منهما شخص واحد فقط، هو أمريكي، الأول حادث اختطاف قتل فيه ضابط عسكري أمريكي واحد؛ والثاني حادث الباخرة أكيلي لاورو (Achille Lauro) ذات الشهرة الأوسع، والتي قتل فيها شخص واحد هو ليون كلينفوفر (Leon Klinghoffer) الأمريكي المقعد.

إنهما، في الحقيقة، حدثان إرهابيان. قتل في كل منهما شخص واحد. ولايعدان شيئاً يذكر أمام الأعمال التي وصفتها، بالطبع، ومع ذلك فهما إرهابيان. إن مقتل ليون كلينغوفر، وهي حادثة مشهورة جداً، تقارن، على سبيل المثال، لحادثة وقعت في جنين قبل أسبوعين عندما حاول رجل مقعد يسير على كرسي مقعدي أن يبتعد عن طريق دبابة إسرائيلية ولكنها سحقته ومزقت جسده إرباً إرباً. أو يمكن مقارنتها بحادثة وقعت قبل يومين عندما كانت امرأة شابة تحاول الوصول إلى مشفى لتتلقى علاجاً بالديلزة، ولكنها أوقفت ومنعت من الوصول إلى المشفى، وكانت هي الأخرى مقعدة تسير على كرسي متحرك، فماتت. وهناك أحداث

أخرى يمكن مقارنتها بتلك الحادثة. ومن السهل الاستمرار في سرد وقائع كهذه لأبين لكم استمرارية الإرهاب. ولكن لم يصف أحد هذه الأحداث إرهاباً، بالطبع.

حادثة أكيلي لاورو إرهابية بالتأكيد، ولا يمكن تسويغها بأنها كانت انتقاماً لعملية إرهاب أسوأ منها بكثير قامت بها إسرائيل بهجومها على تونس قبل أسبوع. إذ لا يمكن تسويغ الإرهاب ولو كان انتقاماً. ولكن هذه الملاحظة تُعمّم، وأترك لكم استخلاص النتائج. ذلك يعني أننا نقبل مبدأ أخلاقياً أولياً، بالطبع، ونبعد أنفسنا عن بحث هذا الموضوع مئة بالمئة. عندئذ ترى النتائج.

ليست تلك هي نهاية التعليل. فلو تقرؤون القضية نفسها، ستجدون أن المختص الأكاديمي البارز في الإرهاب، الأستاذ في ((UCLA)) يتبع جذور أسامة بن لادن ليس فقط إلى الإسلام، بل إلى ما هو أعمق من ذلك. إنه يتبعها إلى الوراء حتى حرب فيتنام، إذ يقول: إن «إرهاب الفيتكونغ ضد الغوليات (Goliath) الأمريكيين... أنعش الآمال بأن صميم أراضي الغرب غير حصين، أيضاً». وكذلك كان قلب الأراضي الأمريكية غير حصين في فيتنام الجنوبية، عندما كان الفيتناميون الجنوبيون يقومون بأعمال إرهابية ضدنا هناك.

ومن التمارين التي يمكن أن يمارسها القارئ استكشاف الأرشيف النازي، على سبيل المثال، لتروا فيما إذا كان هناك تجانس مع هذا التحليل. ربما تحاولون. لا تعليق هنا، بل

انعكاس آخر ممتع على طبيعة الثقافة الفكرية والأخلاقية التي نعيشها. وأظن أن هذا هو ما ينبغي أن نهتم به.

فلنتابع الأعمال الإرهابية التي وصفتها في أمريكا الوسطى والشرق الأوسط وجنوب إفريقية وغيرها، لا تُحسب إرهاباً. ولا تدخل في حوليات الإرهاب في الأدب المدرسي المتخصص. إنها تدخل، ولكن ليس كإرهاب، بل كأعمال مضادة للإرهاب أو «كحرب عادلة». والمبدأ المتبع في تحديد هوية العمل (إرهاب أو غير إرهاب) هو أن أي عمل إرهابي، ربما يكون أسوأ أنواع الإرهاب، أو حرباً عادلة.

هذا المبدأ، حسب معرفتي، أصبح عالمياً. ويمكنكم استكشاف الكم الهائل من الأدبيات ذات الصلة بالموضوع وإيجاد استثناء واحد لهذه القاعدة إن أمكن. ليست الولايات المتحدة وحدها هي التي تتبع هذا المبدأ. فهو عالمي على ما أعلم. فحيثما نظرت - وقد نظرت في بلدان عديدة مختلفة - كان المبدأ هو نفسه الذي ستجدونه. فخلال تاريخ الإمبريالية الأوربية كله كان الخط الثاني هو الخط القياسي المتبع: «نفعل ذلك بهم لمناهضة الإرهاب، أو إننا نقوم بحرب عادلة نجلب بفضلها الحضارة إلى المتوحشين». أو كلاماً شبيهاً بذلك. وإن قمنا بذلك في بلدانهم - ولنتذكر أن الغرب كان حتى الحادي عشر من أيلول محصناً بصورة عامة - وعلى مستوى سيئ جداً، فإن عملنا لا يعد إرهاباً؛ إنه مهمة حضارية أو ما أشبه ذلك.

كان هذا المبدأ قائماً حتى عند أسوأ القتلة وأوحشهم في التاريخ. إذ كانوا يستخدمون التقنية نفسها. ولنأخذ النازيين مثالاً. فلو قرأتم الأدب النازي في أوربة المحتلة لوجدتم أنهم كانوا يدعون أنهم يدافعون عن السكان، وعن الحكومات الشرعية ضد إرهاب الأنصار الذين كانوا يُوجَّهون من الخارج. هناك خيط من الحقيقة كما هو الحال في كل الدعايات، حتى تلك الأكثر همجية.

فالأنصار فعلاً كانوا يقومون بأعمال إرهابية، وما من شك أنهم كانوا يتلقون توجيهات من لندن، وبالتالي فهم ينفذون أعمالاً إرهابية موجهة من الخارج. وكانت الحكومة الفيشية (Vichy) شرعية بقدر ما هي الحكومات التي تنصبها الولايات المتحدة أو تنصبها القوى الاستعمارية الأخرى في جميع أنحاء العالم شرعية، وهكذا هناك هامش من التبرير لهذه الدعاية النازية الغربية والتي تشبه كثيراً دعايتنا.

والأمر نفسه صحيح فيما يتعلق باليابانيين في منشورية (Manchuria) وشمال الصين. إذ كانوا يجلبون للناس جنة أرضية في دفاعهم عن حكومة منشورية القومية ضد العصابات الصينية، وهكذا تماماً قتلنا.

على أية حال، هذا مبدأ عالمي على حدّ ما أعلم. نحن نتبعه، إنه مضاد للإرهاب، حرب عادلة، وما إلى ذلك. وهم يتبعونه، ولكنه إرهاب، ولا يهم الحمم. ولا شيء يهم، فدعونا ننظر اليوم في المساعدات العسكرية، مثلاً؛ ولننح

جانباً أكبر مساعدات تقدم، وهي لإسرائيل ومصر. فهما فئتان خاصتان منفصلتان.

تأتي في المقام الأول بعدهما، سلفادور، وذلك أثناء قيام حكومتها بأعمال إرهابية جماعية ضد الشعب السلفادوري. وبعد إنزال الجيش الأمريكي هزيمة باللاهوت التحريري، هبطت سلفادور من المقام الأول ليحل محلها تركية التي احتفظت بالمكانة الأولى في تلقي المساعدات الأمريكية العسكرية حتى العام ١٩٩٩، عندما حلت محلها كولومبيا.

لقد عدت منذ فترة قصيرة من هاتين الدولتين، ومن المواقع التي كانت تقع فيها أسوأ الأعمال الإرهابية الوحشية في تسعينات القرن العشرين. إذ عدت من كولومبيا الجنوبية الأسبوع الماضي، ومن جنوب شرق تركية قبل ذلك بأسبوعين.

لماذا تركية؟ مازالت تركية، بالطبع، أكبر متلق للمعونات العسكرية الأمريكية. فهي ذات موقع استراتيجي، محاذٍ للاتحاد السوفييتي والشرق الأوسط. ولهذا كانت تتلقى معونات عسكرية عالية المستوى باستمرار طوال فترة الحرب الباردة. تغير ذلك في العام ١٩٨٤. إذ ارتفعت المساعدات العسكرية ارتفاعاً كبيراً. ففي عهد كلينتون وحده ارتفعت المساعدات العسكرية الأمريكية لتركية أربعة أضعاف المساعدات التي قُدمت لها طوال فترة الحرب الباردة حتى

العام ١٩٨٤. كانت مساعدات خطيرة. إذ قدمت الولايات المتحدة ثمانين بالمئة من الأسلحة للجيش التركي، ولم تكن تلك الأسلحة مسدسات، بل كانت بالطبع طائرات نفاثة ودبابات، ومستشارين عسكريين، وما إلى ذلك. فما الحكاية؟ السبب هو أن الحكومة التركية كانت في سنوات الذروة تلك، في تسعينات القرن العشرين، وفي عهد كلينتون، تشن إرهاب دولة ضد الأكراد الذين يشكلون ربع السكان تقريباً. إذ كانت الحكومة التركية تخوض حرباً كبرى ضدهم. تلك هي المنطقة التي زرتها.

إنني أستعير المصطلح «إرهاب دولة» من مصادر عديدة؛ منها عالم اجتماع تركي مشهور هو إسماعيل بيسيكسي (Ismail Besikci) الذي ألف كتاباً في العام ١٩٩١ عنوانه «إرهاب الدولة في الشرق الأوسط» متضمناً الإرهاب في المناطق الكردية، فسجن على الفور. وعلى ما أعلم، مازال في السجن. لقد قضى حتى الآن خمس عشرة سنة في السجن لأنه ذكر حقائق حول الاضطهاد التركي للذين مازالوا يقمعون بعنف ويعانون البؤس منذ عقود من الزمن.

مُنح بيسيكسي جائزة قدرها عشرة آلاف دولار من قبل صندوق الولايات المتحدة لحرية التعبير (U.S. Fand for Freedom of Expression)، ولكنه رد الجائزة بسبب الدعم الأمريكي الحاسم لإرهاب الدولة في تركية. إذ لم يستطع قبول جائزة من الولايات المتحدة في حين أنها تشارك في إرهاب

الدولة التركي. لقد احتج الكتاب والعلماء والبرلمانيون في بريطانيا على سجنه في المرة الثانية احتجاجا قوياً، ولكن ليس في الولايات المتحدة، والسبب هو أن إرهاب الدولة التركي لا يعد في أمريكا إرهاباً مادمنا نحن نقوم به. ولهذا ما يصفه بيسيكسي لا يمكن أن يكون إرهاباً، وبالتالي لا ينبغي أن نحتج عليه.

ومرَّة أخرى، هذه مساهمة كبرى للولايات المتحدة في الإرهاب العالمي. ليس بيسيكسي وحده الذي استخدم مصطلح «إرهاب الدولة».

ففي العام ١٩٩٤ وصف وزير الدولة التركي لحقوق الإنسان الإرهاب الذي تمارسه حكومته بأنه «إرهاب دولة». وأشار في حينه أن مليوني نسمة طردوا من بيوتهم؛ وإلى ارتكاب أبشع ما يتخيله المرء من الأعمال الوحشية البربرية، إضافة إلى عشرات الآلاف من القتلى.

والأمور، الآن، أسوأ من ذي قبل. وعندما كنت هناك مؤخراً قدر رئيس لجنة حقوق الإنسان الكردية عثمان بيدمير (Osman Baydemir) المبجل (والذي يحترمه سفير الولايات المتحدة أيضاً) أن القائمة شملت حتى الآن ثلاثة ملايين لاجئ، وخمسين ألف قتيل. يقيم الكثيرون من اللاجئين، كما رأيت، في كهوف خارج أسوار مدينة ديار بكر (Diyar Bakir) حيث كنت، وفي أماكن أخرى مماثلة.

بعد أن كنت هناك بوقت قصير ألقت محاكم أمن الدولة

القبض على عثمان بايْدمير وأدانته لارتكابه جريمة. وبالتحديد، كان هناك عيد سنوي جديد يُحتفل به في المنطقة كلها، فكتب عنه مستخدماً التهجئة الكردية للكلمات بدلاً من التهجئة التركية. وتختلف التهجئتان في أن إحداهما تحوي حرف W في حين تحوي الأخرى حرف V. ولهذا فهو الآن معتقل مُدان، وماذا ستكون العواقب، لا نعلم(١).

فلو ارتدى طفلان ثياباً إذا أوقف أحدهما بجانب الآخر تبين أن ألوان الثياب هي ألوان كردية، أو ألوان علم كردي، فيمكن أن يكون ذلك تهديداً خطيراً وجريمة. وقد اعتقل صحفي، عندما كنت هناك، وأودع السجن لمجرد أنه عزف أغنية كردية في الراديو. وأُغلقت محطته الإذاعية. كنت هناك من أجل محاكمة سياسية. إذ قُدم ناشر للمحاكمة بسبب نشره مجموعة من مقالاتي حوت ثلاث جمل تقريباً مأخوذة من تقرير حول حقوق الإنسان يتعلق بالاضطهاد التركي للأكراد. الأمر الذي جلب اهتماماً كافياً للإفراج عنه. ولكنه يحاكم الآن بتهمة ارتكابه ستة جرائم أخرى مماثلة. وهكذا تسير الأمور.

---

(١) انظر «(W) والتعذيب: مشاهدة محاكمتين»، سبتمبر ٢٠٠٢، من منشورات مشروع حقوق الإنسان الكردي (لندن)، لجنة المحامين لحقوق الإنسان في إنكلترا وويلز، جمعية حقوق الإنسان (أنقرة)، الفصل الثاني «قضية W». والتهجئة التركية للكلمة هي (Nevruz) والتهجئة الكردية هي (Newroz).

وحينما كنت في ديار بكر حصل تصرف شجاع في نهاية الحديث أمام جمهور غفير من المستمعين، وأمام كاميرات التلفزيون والكثير من كاميرات الشرطة. إذ تقدم ثلاثة طلاب وأهدوني قاموساً كردياً - إنكليزياً، وهو عمل بالغ الشجاعة. لا يمكنكم وصف ذلك التصرف، إذ عليكم أن تعرفوا الوضع هناك كي تستطيعوا تقدير الموقف وإدراك فحواه.

لا يستطيع أحد معرفة الطريقة التي وصل فيها القاموس إلى تركية، ولا أعرف ماذا جرى للطالبين، من الصعب تتبع ذلك.

يحصل الطلبة وغيرهم ممن يحتجون على القوانين والممارسات القاسية على كثير من الدعم. فليست إستانبول كالولايات المتحدة. ففي إستانبول كتاب وصحفيون أكاديميون كثر يناضلون باستمرار ضد هذه القوانين القاسية جداً وضد الاضطهاد، ويواجهون تهديدات خطيرة. يُسجنون، ووجود المرء في سجن تركي ليس نزهة ولا هزلاً. ومع ذلك لا ينقطعون عن النضال.

وعندما كنت هناك قدموا إلى النائب العام كتاباً اشترك في نشره عدد من الناشرين يتضمن كتابات محظورة، بما فيها كتابات لمسجونين ويطلبون تقديمهم للمحاكمة. ومرَّة أخرى بسبب تركيز الاهتمام العالمي على المسألة لم تتم محاكمتهم. تلك أمثلة على ما يفعله الشعب الذي يعاني من الاضطهاد، ليس كما هو الحال عندنا هنا حيث يتظاهر أصحاب الامتيازات

بأنهم مضطهدون. هذه هي الأمور التي يقوم بها المفكرون في أمكنة يأخذون حقوق الإنسان مأخذ الجد. فهم بأمس الحاجة لجميع أنواع الدعم، وبصورة أولية من هنا.

يوجد هنا رد فعل على إرهاب الدولة التركي: إنه يحظى بالمديح والإطراء. ولهذا قامت وزارة الخارجية، على سبيل المثال، بنشر تقريرها السنوي للعام ٢٠٠٠- بعد نجاح حملة الإرهاب، إن شئتم أن نسميه نجاحاً - الذي يتحدث عن الإرهاب، وأبرزت تركية على أنها صاحبة تجارب إيجابية في مقاومة الإرهاب. وأبرزت الوزارة كذلك الجزائر وإسبانية في هذا المجال إلى جانب تركية. لا أريد ذكر الجزائر. أما فيما يتعلق بإسبانية، فإن التقرير كان يشير إلى المسؤولين الذين لم يكونوا قد أودعوا السجن حينذاك لقيامهم بأعمال وحشية ضد الإرهاب. هذه هي البلدان الثلاثة التي أشار التقرير إلى تجاربها الإيجابية في مقاومة الإرهاب.

كتب سفير الولايات المتحدة إلى تركية في صحيفة أكاديمية يقول فيها: إنه لا يمكن أن يكون للولايات المتحدة صديق وحليف أفضل من تركية، لما قامت به من حملات ضد الإرهاب، أي حملات كالتي وصفتها لكم قبل قليل، وكانت الحكومة التركية مُمتنَّة لذلك الإطراء. إذ كان رئيس الوزراء التركي أول من قدم قوات أرضية للولايات المتحدة لاستخدامها في «الحرب على الإرهاب» في أفغانستان، وشرح الأسباب التي دعته إلى ذلك. كان ذلك ردَّ جميل لما

قدمته الولايات المتحدة من عون لمقاومة الدولة التركية للإرهاب بالأسلوب الذي وصفته لكم.

يقوم الجيش التركي الآن بحماية كابل (Kabul) من الإرهاب بتمويل أمريكي. وهذا يعني أن القوات التي نفذت بعض أسوأ الأعمال الإرهابية الوحشية في تسعينات القرن العشرين، هي نفسها تشارك الآن في «الحرب على الإرهاب» بتمويل من الولايات المتحدة التي هي في حقيقتها دولة إرهابية رائدة بما لايدع مجالاً للجدال أو الشك. وهذا لا يتطلب تعليقاً أبداً. فيمكنكم التحقق من ذلك ورؤيته بأم أعينكم. وهذا يجعلنا نعلم شيئاً عن أنفسنا. لا تمر الأمور مرور الكرام دون أن يعيها أحد. لا أعلم ما يمكن أن يفعله أورويل (Orwell) تجاه ذلك، ولكنّا نستطيع أن نستخلص منه ما نشاء.

وفي العام ١٩٩٩ حلت كولومبيا محل تركية كمتلق أول للسلاح الأمريكي. والسبب هو أن الأعمال الوحشية التركية نجحت في قمع الشعب بكفاءة. أما الأعمال الوحشية الكولومبية فلم تكن قد نجحت في ذلك بعد، رغم أنها هامّة.

كان لكولومبيا في تسعينات القرن العشرين أسوأ سجل في حقوق الإنسان في نصف الكرة الأرضية؛ وبفضل التزامها بالعلاقات المتبادلة القياسية، حصلت على قدر من العون الأمريكي بما في ذلك المساعدات العسكرية أكثر من بقية الدول في نصف الكرة الأرضية مجتمعة. تلك هي العلاقة الطبيعية، واستمرت العلاقة.

الأعمال الوحشية مروّعة. لقد حققت حكومة كولومبيا في واحدة منها عرفت بمذبحة المناشير السلسلية حيث كان الجيش الكولومبي يدخل إلى منطقة فينشر الناس بالمناشير السلسلية أجزاء ويلقي بهم في حُفر. عوقب البعض على ذلك، ولكن ما العقوبة؟ عزل الضابط المسؤول من منصبه، فهل تستطيعون القول بعد هذا إن هناك حصانة لأحد.

لدى كولومبيا الآن سجل عالمي في قتل أعضاء الاتحادات العمالية والصحفيين. كنت هناك قبل سنتين في مهمة ضمن حملة لحماية المدافعين عن حقوق الإنسان في مواضع مختلفة. واختارت المنظمة كولومبيا لتكون أول بلد ترسل إليها هذه البعثة التي كنت فيها؛ لأن كولومبيا قد أصبح لديها في ذلك الوقت أسوأ سجل عالمي في قتل المدافعين عن حقوق الإنسان ودعاة حقوق الإنسان.

وبحلول ذلك الوقت ارتفع عدد الذين يقتلون سياسياً من عشرة إلى عشرين شخصاً يومياً. ويبلغ عدد المطرودين من بيوتهم عشرة آلاف شهرياً. إضافة إلى المليونين الذين كانوا قد هُجِّروا.

لقد طردوا إلى تجمعات قذرة بائسة حيث لا عناية صحية، ولا تعليم ولا أي شيء. جرى التحقيق في الأعمال الوحشية. لم يكن هناك خلاف بشأنها إذ نسب ثمانون بالمئة منها إلى الجيش أو إلى الميليشيات العسكرية المرتبطة بالجيش ارتباطاً وثيقاً.

ولدى مراجعة ما جرى في السنوات العشر الماضية، تجدون أن نسبة من قتلهم الجيش ضمن الثمانين أو الخمس والسبعين بالمئة الآنفة الذكر، قد هبطت، في حين ارتفعت نسبة الذين قتلتهم الميليشيات المرتبطة بالجيش. ويعود السبب في ذلك إلى العلاقات العامة، إذ أدرك الجيش الكولومبي، كما يدرك أي شخص آخر، أن خير وسيلة لتنفيذ الإرهاب هي خصخصة الأعمال الإرهابية، وتسليمها إلى الميليشيات، تماماً كما فعل الإندونيسيون في تيمور الشرقية، أو كما فعل الصربيون في البوسنة، وهكذا هذه وسيلة قياسية.

عندئذ يمكنكم القول: إن أيديهم نظيفة، ما لم تطّلعوا على التحليلات التي يجريها الأكاديميون، والتقارير التي تنشرها منظمات حقوق الإنسان مثل منظمة هيومان رايتس وتش (Human Rights Watch) التي تقول: إن الميليشيات هم الفرقة السادسة من الجيش الكولومبي المكلفة بارتكاب الأعمال الوحشية المروّعة، في محاولة للاحتفاظ بإمكانية الإنكار، كما يسمونها.

لقد امتُدحت كولومبيا، امتدحها كلينتون بسبب سجلها في حقوق الإنسان، وبوصفها ديمقراطية رائدة، ولما قامت به من إصلاحات اقتصادية. من بين مواضع الإطراء هذه، الموضع الثالث فقط هو الصحيح. لأن كولومبيا سجلت رقماً قياسياً عالمياً في الخصخصة، أي بتسليم مواردها إلى مستثمرين أجانب. فهي موطن حافل بالخيرات للمستثمرين.

ومن بين هذه الخصخصة، خصخصة الإرهاب، كما ذكرت قبل قليل.

كذلك الولايات المتحدة تخصخص إسهاماتها في الإرهاب الدولي، ولهذا نجد الآن في كولومبيا مستشارين أمريكيين، وإلى جانبهم ضعفهم من الضباط العسكريين الأمريكيين ضمن شركات خاصة مثل شركة دين كورب (Dyn Corp) ومؤسسة الموارد المهنية العسكرية (MPRI)، وهدف ذلك واحد. إمكانية الإنكار. إن خصخصة الإرهاب الدولي تعني أن النصيحة والسلاح يتحرران من مراقبة الكونغرس، إذ هناك تشريع للكونغرس يفرض شروطاً تتعلق بحقوق الإنسان قبل منح المساعدات.

الطريقة القياسية لإرضائهم هي إصدار تخلٍّ عنهم. وهذا ما فعله كلينتون: «حسناً، إننا فقط نهملهم». ولكن الكونغرس أضاف متطلبات أقوى. إذ لم يعد بالإمكان الآن إصدار تخلٍّ. ولهذا قرر كولن باول قبل أسبوعين في مطلع مايو (أيار) من العام ٢٠٠٢ أن كولومبيا لبَّت معايير واشنطن لحقوق الإنسان، الدقيقة لسوء الحظ. فإن كنتم تريدون معرفة هذه المعايير ارجعوا إلى تقرير منظمتي هيومان رايتس ووتش (Human Rights Watch) والعفو الدولية (Amnesty International) المفصلين حول هذا الموضوع. وإن استطعتم العثور عليه، فإنه ينبئكم الشيء الكثير.

ما النتيجة؟ رأيتها بالفعل في كولومبيا الجنوبية. كنت هناك

لمدة يومين في كوكا (Cauca) التي كان لها في العام الماضي أسوأ سجل في حقوق الإنسان من بين جميع أقاليم كولومبيا. إنه سجل بالغ السوء. إنه إقليم معظم سكانه أصليون من العمال الزراعيين من أصل هندي أمريكي لاتيني وكولومبيين إفريقيين. لقد نجحوا في تنظيم ما يسمونه «الكتلة الاجتماعية» التي تقوم بإصلاحات تربوية واجتماعية وصحية وغيرها.

حتى إنهم نجحوا في انتخاب حاكم لهم رجلاً فخوراً بنفسه، وذا شخصية مؤثرة من السكان الأصليين، الأمر الذي أدهش الجميع. وكانت تلك هي إحدى المرات القليلة في تاريخ نصف الكرة الأرضية، ينتخب فيها واحد من السكان الأصليين إلى منصب رفيع. التقيت به فوجدته فعلاً ذا شخصية مؤثرة. كانت نتائج تلك الإنجازات طبيعية. فأُرسلت الميليشيات إلى ذلك الإقليم وانتشروا فيه؛ وأخذت الأعمال الوحشية تتصاعد لدرجة أن الذين يتوقعون للحاكم أن يكمل مدته أصبحوا قلة.

قضيت ساعتين أصغي إلى شهادات الفلاحين الفقراء، وهم يتحدثون عن الإرهاب. ولكن أسوأ إرهاب كانوا يعانون منه، على الأقل حسب ما جاء في الشهادات التي استمعت إليها، كان الإرهاب الأمريكي المباشر، ألا وهو التبخير بالمواد الكيماوية الذي دَمَّر حياتهم ومحاصيلهم وحيواناتهم، يموت الأطفال من الجرب الذي يكسو أجسادهم، ومن غيره من الأمراض التي تسببها تلك الأبخرة.

هؤلاء مزارعو بنٍّ فقراء، في غالبيتهم. زراعة البن خادعة وتتطلب براعة فائقة، وأسعاره منخفضة. لقد نجحوا، مع ذلك، في إيجاد زاوية لهم في الأسواق العالمية، فكانوا يبيعون منتوجاتهم العالية الجودة في ألمانيا وما شاكلها، بيد أن هذا قد ولى. إذ ما إن دمرت أشجار البن وبُخرت الأرض وسُمِّمت حتى انتهى كل شيء. لقد سُممت إلى الأبد.

لم تدمر حياتهم ومحاصيلهم فحسب، بل دمر التنوع البيولوجي كذلك، بل أكثر من ذلك، دُمرت تقاليد الفلاحين الزراعية. ذلك التراث الغني في جميع أنحاء العالم الذي يجعل الفلاحين يحققون إنتاجاً عالياً. ذلك التراث المتمثل في الفهم الكبير والأعراف العريقة. فإذا ما دمر هذا كله، فلا يمكن العودة إليه ثانية.

لقد حلل التبخير هذا رسمياً بأنه حرب على المخدرات. لا يمكن قبول هذا التعليل، أو أخذه على محمل الجد إلا إذا كان غطاء لبرنامج مكافحة التمرد الشعبي، وطرد الفلاحين من أرضهم، لتخلو للنخبة الثرية الأجنبية التي تسعى لاستخراج موارد تلك الأرض وثرواتها لصالحهم فقط[١].

(١) انظر دوج ستوكس (Doug Stokes)، «رصاص خير من الخبز؟» تحليل نقدي لخطة الولايات المتحدة في كولومبيا، «حروب أهلية ٢.٤ (صيف ٢٠٠١)، ٧٨-٥٩؛ غاري إم ليخ (Garry M.Leech)، قتل السلام (شبكة المعلومات للأمريكيتين، ٦٦ F, 2002, NY. ولمزيد من البحث والخلفيات، انظر تشومسكي، «الدول الحمراء»، الفصل ٥».

وكانت النتيجة هي أنه إذا ما عادت هذه المنطقة إلى الزراعة فإنها ستكون نتيجة لنوع صالح للتصدير مع إنتاج بذور في المخبر مستوردة من مونسانتو (Monsanto). ليس هناك بديل لذلك. بيد أن الأمر الرئيسي هو أنه في حال طرد السكان من الأرض بفضل الأسلحة الكيماوية الأمريكية وبفضل تدمير المحاصيل تفتح الأرض بعدئذ لاستخراج المناجم- إذ يبدو أن المنطقة غنية بمناجم الفحم - ولإقامة السدود، وتوليد طاقة كهرومائية، وللتعاون الدولي، وما إلى ذلك، بحيث يبدو ذلك أيضاً وكأنه نجاح.

أما الشعب والثقافات والمجتمعات، فليس أمامك إلا نسيان كل شيء يتعلق بها. فهم كما قال أحد الفلاسفة «مجرد أشياء - ليس لحياتها أية قيمة». هذا قول هيغل (Hegel) وهو يتحدث عن الأفارقة. إنه موقفنا أيضاً. إنهم في نظرنا مجرد أشياء لا قيمة لحياتهم، ولهذا يمكننا أن نتابع الإبادة برباطة جأش كاملة، وحصانة من النقد تامة، وبمديح لما أنجزنا.

ذلك هو موقفنا. مثلهم كمثل الأكراد في جنوب شرقي تركية، كمثل الفلسطينيين. وأستشهد هنا بمحرر صحيفة نيوريبابلك (New Republic) مقتبساً ما قاله في موضوعه المفضل: «سوف يتحول الفلسطينيون إلى أمة مسحوقة أخرى، كالأكراد أو كالأفغان، وإنه لابد من وضع حد للمسألة الفلسطينية التي أصبحت مملّة».

تكررت وجهة النظر هذه في مايو (أيار) من العام ٢٠٠٢

على لسان زعيم الأكثرية البرلمانية ديك أرمي (Dieck Armey) الذي طرح حلاً للمسألة الفلسطينية - الإسرائيلية بقوله: «على الفلسطينيين أن يرحلوا جميعاً». هناك أمكنة أخرى كثيرة في العالم، فلماذا لا يخرجون، وعندئذ تحل المشكلة؛ فهذه هي الطريقة الصحيحة للتعامل مع الأشياء؛ والواقع هذا هو موقفنا تجاه الأشياء. ما أسهل البرهان عليه. كما أن هذا الموقف يفسر وجود علاقة متبادلة مذهلة بين المساعدات العسكرية الأمريكية والأعمال الوحشية المروّعة، بما في ذلك العواقب الصحية الوخيمة.

يمكنني أن أتابع وصف هذا النوع من الإرهاب لفترة طويلة، ولكن دعونا نتحول إلى فئة أخرى من الإرهاب، ألا وهي الحرب الاقتصادية التي تُفرض لسحق حياة الشعوب. فإذا بقينا في نطاق نصف الكرة الغربي، نجد بلدين يخضعان للحصار الأمريكي. ومن الصدف أن يكون البلدان هما اللذان كانا في طليعة البلدان التي تستقبل العبيد؛ إنما كوبا (Cuba) وهاييتي (Haiti).

فيما يتعلق بكوبا فإن هذا الحظر مازال قائماً منذ أربعين عاماً. وكان جزءاً من حملة حربية أوسع ضد كوبا. وذنبها أن الولايات المتحدة صنفتها دولة إرهاب رائدة. والسبب على ما يبدو أنها كانت هدفاً لإرهاب دولي بقيادة الولايات المتحدة طوال الأربعين سنة المنصرمة أكثر من بقية بلدان العالم كافة. ربما كان لبنان على القائمة في مكان ما.

مازالت الحرب ضد كوبا قائمة منذ ١٩٥٩. وكان تبرير ذلك حتى العام ١٩٨٩ أن علينا الدفاع عن أنفسنا من مجَسّ الامبراطورية الروسية هذا الذي على وشك خنقنا، ولهذا لا بد من دعم الإرهاب والحرب الاقتصادية ضدها. لكن هذا الادعاء فقد أهميته في العام ١٩٨٩، فانتقلنا بسرعة دون أن يرمش لنا جفن إلى ادعاء آخر. الادعاء الأول طواه النسيان أما الحظر الاقتصادي فقد أصبح أقسى وأشد. وتبين أن ذلك كله كان بدافع حبنا للديمقراطية.

منذ ذلك الحين ونحن نفرض حرباً اقتصادية على كوبا وندعم الإرهاب ضدها بسبب حبنا للديمقراطية كما هو واضح تماماً في بلدان أخرى، مثل كولومبيا. لقد سمحت كولومبيا بالفعل لحزب مستقل بالظهور قبل سنتين، وسمح لها أن تجري انتخابات؛ بيد أن هذه الانتخابات كانت صعبة لأنه في غضون سنتين كان قد قتل ثلاثة آلاف من الشخصيات البارزة على يد فرق الموت المرتبطة بالولايات المتحدة والمدعومة منها عسكرياً؛ ومن بين الضحايا مرشحون للرئاسة والبلديات وما إلى ذلك. ومع ذلك تظل كولومبيا ديمقراطية جداً بالمقارنة مع كوبا، مثلاً. ولا أريد الإطناب.

يكون الحظر عادة قاسياً، بل فريداً في قسوته، ذلك لأنه يحجب عملياً الغذاء والدواء عن الشعب انتهاكاً لأي قانون إنساني يمكن تصوره. لقد أدان العالم كله هذا الحظر. لقد حصل الانتقال من ذريعة الدفاع عن أنفسنا ضد هجوم كوبي

بوصفها قاعدة متقدمة للامبراطورية الروسية، إلى حبنا للديمقراطية دون أن ينتبه إلى ذلك أحد. يمكنكم التدقيق لتروا كم هم أولئك الذين علّقوا على هذا التحوُّل المفاجئ.

لهذه الذرائع معنى لأن الخوف من الشيوعية كان دائماً خداعاً تامّاً. إننا نعرف ذلك منذ سنين عندما أفرج عن السجلات الداخلية، من إدارة كينيدي. وأعتقد أن هذا هو سبب عدم التنويه بذلك. كما قام المؤرخ آرثر شليسينغر بتسليم تقارير سرية إلى كينيدي تحلل الوضع، وكانت واضحة تماماً. (لقد كتبت عن ذلك في كتابي: «الربح فوق الشعب»).

إن نتيجة الحظر على كوبا، بل إن الحظر القياسي له الذي كرره الرئيس السابق كارتر قبل أسبوعين، هي أن الحظر ساعد كاسترو، ولم يؤذ الكوبيين. أما المتضررون الوحيدون فهم الأمريكيون الشماليون كالمزارعين والعاملين في الزراعة الذين يريدون تصدير منتجاتهم إلى كوبا، ولكن الحظر لم يؤثر على كوبا سوى أنه ساعد كاسترو.

هناك آخرون ممن نظروا في الوضع، مثل الجمعية الأمريكية للصحة العالمية (AAWH) التي أجرت دراسة مفصلة في مارس من العام ١٩٩٧، نشرت ثلاث مئة صفحة من الوثائق، وخلصت إلى أن الحظر أحدث أضراراً درامية في الصحة والغذاء، وأسفر عن ارتفاع كبير في المعاناة والموت. ربما كان الحظر كارثة إنسانية، حسبما قالوا، لولا أن تمَّ تفادي الكارثة بفضل النظام الصحي الكوبي المدهش، رغم

أنه جعل الموارد المباشرة في النظام الصحي بعيدة عن الحاجات الأخرى بما لذلك من نتائج واضحة.

لهذا كان الحظر ناجحاً، تماماً كما كانت هزيمة لاهوت التحرير على يد الجيش الأمريكي ناجحة، حسناً، هذه واحدة من عمليتي حظر.

أما الأخرى فربما تكون أكثر غرابة، تلك هي عملية فرض الحظر على هاييتي. كانت هاييتي هدفاً للتدخل العسكري الأمريكي وغيره من التدخلات طوال القرن المنصرم. إنها أفقر بلد في نصف الكرة الأرضية. وربما لا تستطيع البقاء جيلاً أو جيلين، وهذه علاقة متبادلة بين أمريكا وهاييتي ينبغي أن تفكروا فيما تولده.

قام وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) بغزو هاييتي تطبيقاً لما أطلق عليه «تمرين المثالية الويلسونية»، ومن درس نظرية العلاقات الدولية يعرف دلالة هذا المصطلح. قامت قوات البحرية (المارينز) بغزو هاييتي في العام ١٩١٥ ودمَّرت النظام البرلماني، وأعادت بناء نظام العبودية، وقتلت ما لايعرف عدده أحد (يقول الهاييتيون: إن عدد القتلى قد بلغ حوالي خمسة عشر ألف قتيل) وحولوا البلد إلى مزرعة للمستثمرين الأمريكيين، وأنشؤوا حرساً قومياً، وهو قوة وحشية من القتلة تجوب البلاد بدعم من الولايات المتحدة.

لا أريد الخوض في التاريخ كله، بيد أن هذا الوضع استمر حتى منتصف تسعينات القرن العشرين عندما دعم بوش

وكليتون العصبة العسكرية الحاكمة بصورة مباشرة من خلال أسوأ أعمال الإرهاب. ذلك شيء آخر رأيته شخصياً لمدة يومين. يوجد، الآن، وفي مكان قريب من هنا، في كوينز (Queens) في نيويورك أحد المجرمين البارزين، وهو إيمانويل كونستانت (Emmanuel Constant) تخبئه الولايات المتحدة. لقد حكم عليه في هاييتي بتهمة ارتكاب جرائم إرهابية. كان رئيس الميليشيات المسؤولة عن قتل ما يقارب أربعة آلاف شخص في هاييتي في مطلع تسعينات القرن العشرين عندما كان بوش وكليتون يدعمان العصبة العسكرية الحاكمة.

حاولت هاييتي تسليمه، ولكن الولايات المتحدة لم تلق بالاً إلى تلك الرغبة، بالطبع، حتى إن الصحافة لم تعلق على ذلك. فلماذا تسلم قاتلاً كبيراً متورطاً في قتل ألفين من الناس، خصوصاً أنه إذا ما عاد فإنه «سيبصق البحصة» ويكشف عن الروابط المباشرة بين الولايات المتحدة والإرهاب الذي كان قائماً في تلك الأيام. ومرَّة أخرى، لا يحتاج ذلك إلى تعليق.

هنالك تعليق طبي حول هذا الموضوع لبول فارمر (Paul Farmer) الذي كتب عن هذا الموضوع حديثاً. شرع بنك التنمية عبر أمريكا (IADB) وغيره من الشركات بالقيام بمشاريع لإعادة بناء ما بقي من النظام الصحي المسحوق، وذلك بحلول العام ١٩٩٥ بعد الإطاحة بالعصبة الحاكمة، ولكن تلك المشاريع قد توقفت. لقد أرادوا عكس اتجاه

الانحدار الذي ألَمَّ بتوقعات الحياة وآمالها. توقفت تلك الجهود بسبب الحظر. لأنه حجب ما قيمته مليار دولار من المساعدات التي كانت مرسلة من (IADB) وغيره من المصادر، فوضع الحظر حداً للمشاريع بالطبع، وفاقم الظروف المروّعة القائمة. والمساعدة الوحيدة التي تلقتها هاييتي كانت من كوبا، كما هو حال بقية البلدان الفقيرة، بما في ذلك المساعدات التي تدفعها شخصيات طبية كوبية، ولكن هذه المساعدات لم تتمكن من تعويض الخسائر.

وبالمناسبة، تدفع هاييتي فوائد على القروض التي حجبت عنها ولم تتلقَّها، الأمر الذي يزيد الكارثة تفاقماً. هذا هو الحظر الثاني وقد فرض أيضاً لأننا نحب الديمقراطية كما قال باول وغيره.

وبدون أن أتابع، أذكر بأن هناك جنساً أدبياً يزدهر في الولايات المتحدة الآن، مع كتب ومقالات تحظى برقم عال من المبيعات، تركز كلها على خلل في شخصيتنا، ألا وهو: لماذا لا نرد بصورة مناسبة على جرائم الآخرين؟ هناك كتب كبيرة حول ذلك، فهو موضوع ممتع. ربما يستحق مثل هذا الموضوع حاشية حول دراسة موقفنا تجاه حقوق الإنسان، حيث يكون الموضوع الرئيسي للحاشية، بالطبع، مختلفاً تماماً، أعني لابد أن يكون على النحو التالي: لماذا نستمر بانتهاك حقوق الإنسان انتهاكاً لا يضاهيه قسوة أي انتهاك آخر، بما في ذلك ارتكاب الأعمال الوحشية؟

بيد أن هذا سؤال لا يُسأل. إذ يمكنك أن تسأل فقط عن عدم كفاءتنا في الرد على جرائم الآخرين، ولا تستطيع توجيه سؤال حول ما أتحدث عنه، حول جرائمنا الجماعية، لأن ذلك يعني اعترافاً منا بارتكاب مثل هذه الجرائم، وهذا لا يمكن إدراكه. كيف يمكن أن يكون ذلك؟ من يحاول طرح مثل هذا السؤال يُعد خارجاً عن الطيف في مكان ما.

كذلك هناك تعليقات خطيرة كثيرة هذه الأيام حول ما ينبغي أن نفعله لمقاومة طاعون الإرهاب، وهو أمر خطير. فهناك تهديدات إرهابية خطيرة في كل مكان. هنالك طريقة بسيطة واحدة تستطيع الولايات المتحدة بفضلها تقليص خطر الإرهاب بصورة ملموسة كبيرة في جميع أنحاء العالم، هي أن تكف عن دعم الإرهاب والمشاركة فيه، إذ سيكون لذلك أثر كبير فوري. وأعني أن مثل هذا السلوك لا يحل جميع الإشكالات، ولكنه يؤدي إلى اختفاء القدر الأكبر من مشكلات الإرهاب. ومع ذلك سوف تبحثون عبثاً عن أي بحث لمثل هذه الفكرة الأولية.

لا يمكن لبحث هذه الموضوعات أن يُجرى بجدية، إلى أن تتمكن أسئلة مثل السؤال الذي طرحته أعلاه اقتحام الأجندة والوصول إلى مركز الاهتمام، وسوف تظل الشعوب المعانية في جميع أنحاء العالم تغوص أكثر فأكثر في التعاسة والشقاء.

فيما يلي مقتطف من جلسة السؤال - والجواب بعد حديث تشومسكي:

س: أعتقد، وآمل أن توافقني على ذلك، بأن الفرق الجوهري بين ما فعله النازيون وما فعلناه نحن في فيتنام، هو القصد. فالنازيون كانوا يقصدون إفناء الشعب اليهودي في أوربة، أما قصدنا نحن في فيتنام فلم يكن إبادة الجنس البشري.

تشومسكي: لم أصف ما جرى في فيتنام أنه إبادة للجنس البشري، أبداً. فليس ذلك هو المصطلح الملائم لتلك الأعمال. أوافق أن الأمر مختلف تماماً. ولا أذكر أن أحداً قال غير ذلك. الواقع أن الأمر مختلف من كل النواحي. النازيون فريدون في التاريخ. التاريخ حافل بالأعمال الوحشية، إلاَّ أن الإبادة الجماعية المصنعة من النمط الذي استخدمه النازيون، لا مثيل لها أبداً. لا يقارن بها شيء. فاليهود والرومان الذين نسميهم بالجبسيين (النَّور)، ومجموعات بشرية أخرى عوملوا بالطريقة ذاتها. كان ذلك فريداً.

ولكن هناك الكثير من الأعمال الوحشية حدثت في العالم، لنا في كثير منها يد طولى. وكثير منها لم تدخل في حساب الأعمال الوحشية، ولأضرب لك مثالاً على مالم يحسب إرهاباً. سوف تتذكر، بلاشك، كتاباً ظهر قبل سنة وكان من أكثر الكتب بيعاً عنوانه «كتاب الشيوعية الأسود». وكتبت مراجعات وتعليقات هامة حوله في نيويورك تايمز. وكان ترجمة

لكتاب فرنسي قدَّر الذين قتلهم الشيوعيون بمئة مليون. وبدون الخوض في الأرقام لنقل: إن ذلك صحيح.

من أكبر مكونات ذلك النمط الذي أصاب الصين من العام ١٩٥٨ إلى العام ١٩٦٠ والذي قتل حسب التقديرات خمسة وعشرين مليون نسمة، لقد جرى بحث السبب الذي دعا إلى وصف ما حدث بأنه جريمة سياسية - بل جريمة أيديولوجية - وهو سبب جيد برأيي، بصورة تفصيلية من قبل أمارثي سن (Amarthy Sen)؛ كان ذلك البحث جزءاً من عمل نال عليه جائزة نوبل. سن هذا عالم اقتصادي عالج هذه المسألة بوصفها جريمة أيديولوجية لأسباب وجيهة. قال: لم يكن موت هذه الملايين مقصوداً؛ فالحكومة الصينية لم تقصد أن تقتل أحداً. بل إن طبيعة المؤسسات الأيديولوجية تؤدي إلى ذلك. إنها الدولة الدكتاتورية، حيث لا تصل فيها المعلومات الأيديولوجية حول ما يجري إلى مركز القرار. فلم يستطيعوا لذلك اتخاذ أية خطوة عملية، لأن هذا هو ما يحدث عادة في أية دولة دكتاتورية. ولهذا كان ما جرى انعكاساً للمؤسسات الدكتاتورية، حدثت مذبحة هائلة ولكن دون قصد. فهم لم يقصدوا أبداً قتل خمسة وعشرين مليوناً من شعبهم، ومع ذلك كانت مذبحة كبرى، وليس خطأ أن نصفها بأنها واحدة من أكبر الأعمال الوحشية في القرن العشرين، وبأنها من أسوأ المكونات الفردية لجرائم الشيوعية. هذا صحيح.

هذا فيما يتعلق بمسألة القصد التي أشرت إليها. تلك هي

نصف الحكاية. فلو ألقيت نظرة على عمل أمارتي الذي نال عليه جائزة نوبل والذي اشتهر عالمياً بسببه، ستجد أنه درس المجاعات والظروف المؤدية إليها. وقارن، في جزء كبير من دراسته، بين الهند والصين. مما لاشك فيه أن الهند كانت تعاني في ظل الحكم البريطاني من مجاعات هائلة طوال الوقت، أسفرت عن موت عشرات الملايين من الناس، ولكن أحداً لم يصف هذه المجاعات بأنها جرائم الإمبريالية البريطانية، لأنه (أقولها ثانية) عندما نفعلها نحن، لا تكون جريمة.

وإذا بدأنا بعهد الاستقلال، كما يشير سن، نجد أن الهند عانت كثيراً من مثل هذه المجاعات، ولكن ليست بهذا الحجم. فمنذ العام ١٩٤٧ حتى السنة التي ألف فيها ذلك الكتاب الذي نال عليه جائزة نوبل، أي حوالي سنة ١٩٨٠، لم تحدث في الهند مجاعات كبرى. يقارن ذلك بالصين التي حدثت فيها تلك المجاعة الكبرى، ويشير إلى الفرق بين مؤسسات البلدين. ففي الهند الديمقراطية تصل المعلومة عن أي جوع في أي مكان إلى مركز القرار حيث تتخذ الإجراءات اللازمة، ولهذا لم تحدث مجاعات كبرى.

ذلك جزء مما كتب؛ وهو معروف في كل مكان، ولكنه يتابع بعد ذلك. وإليكم البقية من المقالة نفسها والكتب ذاتها، ولكنها غير معروفة. قال بعد ذلك: دعونا نقارن معدلات الوفيات بين الهند والصين من العام ١٩٤٧ حتى تاريخ تأليف الكتاب. كانت المعدلات نفسها تقريباً حول العام ١٩٤٧،

وكذلك في البلدان المماثلة. ثم أخذت معدلات الوفيات تهبط بحدة في الصين، في حين ظلت عالية في الهند. واعتبر ذلك جريمة أيديولوجية أيضاً.

يقول: إن الفرق هو أن الصين أقامت مستوصفات صحية ريفية، تقدم دواء وقائياً للفقراء، وهكذا... الأمر الذي أدى إلى تحسن في مستويات الصحة، وهكذا حصل هبوط في نسبة الوفيات. أما الهند فلم تعمل ذلك. الهند دولة رأسمالية ديمقراطية لا تستطيع أن تعمل فيها شيئاً للفقراء. ثم يقول: إذا ما ألقينا نظرة على تلك المنحنيات، ودعوني هنا أقتبس ما قاله: «نجد أن الهند كانت تملأ خزائنها من الهياكل العظمية كل ثماني سنوات أكثر مما وضعته الصين في سنوات الخزي [١٩٥٨-١٩٦١]».

بلغ العدد حوالي مئة مليون في الهند من العام ١٩٤٧ حتى العام ١٩٨٠. ومع ذلك لم تصف ذلك بأنه جريمة الإمبريالية الديمقراطية. ولو كان علينا أن نتتبع هذه الإحصاءات في جميع أنحاء العالم، فإني لا أريد حتى مجرد التحدث في هذا الموضوع. إلاَّ أن سن (Sen) محق، فهي لم تكن مقصودة، تماماً كانت المجاعة في الصين غير مقصودة. ولكنها جرائم أيديولوجية ومؤسساتية، والديمقراطية الرأسمالية ودعاتها مسؤولون عنها بالقدر الذي يعد فيه مؤيدو الشيوعية مسؤولين عن مجاعة الصين. لا تتحمل كامل المسؤولية، ولكن تتحمل جزءاً كبيراً منها.

ولهذا إن أحصيت الجرائم ستجد أنها تشكل سجلاً قبيحاً، ولكن التي تحسب وتسجل هي جرائم العدو فقط. فهي الجرائم التي نقلق بشأنها ونندب من أجلها. أما جرائمنا التي ربما تكون أسوأ وحشية فلا تدخل في مجال رؤيتنا. إنكم لا تدرسونها، ولا تقرؤون عنها، ولا تفكرون فيها، ولا أحد يكتب عنها. حتى إنه لا يُسمح بالتفكير فيها، وإن قبلنا مثل هذا الوضع، فهو خيارنا.

الجزء الثالث

محاضرات وأحاديث

الجزء الثالث

محاضرات وأحاديث

لماذا يكرهوننا مع اننا طيبون؟

مقتطف من (إنعام النظر في لجّة المستقبل)
كلمة ألقيت لصالح مركز شبه الجزيرة للسلم والعدل
ريكي حياة هاوس (Rickey's Hytt Huse)
بالو ألتو (Palo Alto)
كاليفورنيا، ٢٢ مارس (آذار) ٢٠٠٢م

بعد الحادي عشر من سبتمبر (أيلول)، قامت بعض الصحافة وخصوصاً وول ستريت جيرنال بما ينبغي أن تقوم به، وهو البدء في استقصاء الرأي في منطقة الشرق الأوسط، لقد حاولت الصحافة إيجاد جواب عن سؤال جورج بوش الساذج: «لماذا يكرهوننا، مع أننا طيبون؟» كيف يمكن أن يكون ذلك؟

والواقع أن وول ستريت جيرنال قد قدَّمت بعض الإجابات حتى قبل أن يطرح بوش سؤاله، لقد ركزوا

مسحهم للآراء في المنطقة على أناس يهتمون بهم، على أولئك الذي يسمونهم «المسلمين المتمولين» أي المصرفيون، والمحامون، ومديرو فروع الولايات المتحدة في العالم - على مثل هؤلاء الناس. أناس في إطار نظام الولايات المتحدة، وبالتالي يحتقرون أسامة بن لادن لمجرد أنهم يشكلون هدفه الأساسي ويلاحقهم، لذلك فهم يكرهونه.

فما رأي هذه المجموعة في الولايات المتحدة؟

لقد تبين أنهم معادون لسياسة الولايات المتحدة. السياسات الرئيسة التي هم جزء منها - مثل السياسات الاقتصادية العالمية - ولكن اعتراضهم يتركز على واقعة أن الولايات المتحدة الأمريكية تعارض الديمقراطية والتنمية المستقلة، وتدعم الأنظمة الفاسدة الوحشية. ومن الطبيعي أن يعترضوا بقوة على دعم الولايات المتحدة طرفاً واحداً هو الاحتلال العسكري الإسرائيلي القاسي والوحشي، الذي ما زال مستمراً منذ خمس وثلاثين سنة.

ويعارضون العقوبات المفروضة على العراق التي يعرفون جيداً، كما تعرفون أنتم أيضاً، أنها مدمرة للشعب ومعززة لصدام حسين.

ويتذكرون شيئاً آخر نحب أن ننساه: ذلك أن الولايات المتحدة وبريطانيا دعمتا صدام حسين، وهو يرتكب أبشع الأعمال الوحشية، وتابعتا دعمه في تطوير أسلحة الدمار

الشامل، ولم تفعلا شيئاً لإيقافه عن قصف الأكراد بالغاز أو أي شيء آخر.

إنهم يتذكرون ذلك حتى ولو كتمنا تلك المعلومات وأخفيناها تحت السجادة، ولمثل هذه الأسباب يقولون: إنهم يكنون كرهاً كبيراً لسياسات الولايات المتحدة، رغم أنهم في قلب النظام الأمريكي كله. هذا أحد الأجوبة عن سؤال جورج بوش. إنه ليس جواباً يقرأ في معظم الصحف الفكرية والصحافة الأخرى، بل تقرؤون إجابات معقدة مختلفة حول كون ثقافات أهل المنطقة سيئة، أو حول كيفية كونهم خارج إطار العولمة، أو كيف أنهم لا يطيقون حرياتنا وعظمتنا وما إلى ذلك.

كل من هو مهتم حقاً بهذه القضايا، أو كل من هو مختص في الشؤون الدولية أو في الشرق الأوسط، يعلم أن هذه الإجابات لم تأت بجديد، إذ يمكن أن نجدها إذا ما ألقينا نظرة إلى الوراء بالقدر الذي نريد، من فوائد عيشنا هنا أن الولايات المتحدة أصبحت عبر السنين بلداً حرّاً جداً، ليس بفضل هبة من الله، بل بفضل الكفاح الشعبي الطويل، لقد أصبحت بلداً حراً على صعيد العالم، وفريدة في جوانب كثيرة، فلدينا من المعلومات عن تخطيط السياسة الأمريكية أكثر مما يمكن أن تجده في أية دولة أخرى في العالم الذي أعرفه؛ إننا نحصل على أطنان من المواد المفرج عنها التي تبين كيف تُسَيَّر السياسة وكيف تفكر الحكومة.

وأوضح مكان يمكنك الحصول منه على مثل هذه المعلومات هو سجلات العام ١٩٥٨، كانت تلك السنة حاسمة في شؤون الولايات الدولية لأسباب عديدة، وفيما يتعلق بالشرق الأوسط، كانت سنة حاسمة لأنها السنة الأولى التي استطاعت إحدى دوله أن تخرج عن نطاق الهيمنة الأنكلو - أمريكية على موارد الطاقة. وحاول نظام قومي محافظ أن يستولي على السلطة في إيران، ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا أطاحتا بذلك النظام.

أما العراق، فقد خرجت عن السيطرة، وتلك قضية كبرى، وكانت هناك هَبَّةٌ من نشاط القوات العسكرية في جميع أنحاء العراق كادت تشهد استخدام الأسلحة النووية. كانت قضية ضخمة، فإذا ما أردتم معرفة ما كانت تفكر فيه الولايات المتحدة، فما عليكم إلا أن تعودوا إلى تلك السجلات.

فإن رجعتم إلى السجلات ستجدون أن الرئيس أيزنهاور قال في مناقشة داخلية لهيئته بالحرف الواحد: «هناك حملة كراهية ضدنا في العالم العربي ليس من قبل الحكومات فحسب، بل من قبل الشعب» فجرى نقاش حول ذلك، فقدم مجلس الأمن القومي تحليله قائلاً: «هنالك إدراك في المنطقة بأن الولايات المتحدة تدعم أنظمة قاسية وحشية فاسدة، وتحول دون قيام الديمقراطية ودون التنمية، وتفعل ذلك كله بسبب اهتمامها بالسيطرة على مخزون النفط في المنطقة».

وأضافوا قائلين: «من الصعب مواجهة هذا الإدراك لأنه صحيح، وليس صحيحاً فقط، بل ينبغي أن يكون صحيحاً. ومن الطبيعي أن ندعم الحكومات القائمة (أي الحكومات التي وصفتها آنفاً) وأن نمنع ظهور الديمقراطية، ونحول دون التنمية، لأننا نريد الاحتفاظ بمصادر الطاقة في المنطقة، ولهذا هناك حملة كراهية ضدنا من قبل الشعب، وهذا هو سببها».

اكتشفت وول ستريت جيرنال الشيء نفسه في الرابع عشر من سبتمبر من العام ٢٠٠١، وما من أحد إلا ويعلم ذلك، والفرق الوحيد بالطبع هو أن بعض السياسات المعينة بالطبع مثل العقوبات ضد العراق تُعدُّ جديدة، بيد أن السياسات العامة واحدة.

هناك اشمئزاز كبير بين الناس في المنطقة، لأنهم لا يرون أي سبب لتدفع ثروات منطقتهم إلى الغرب وإلى المسلمين المتمولين الموالين للغرب والمتعاونين معهم، وليس لهم. إن هذا الشعور يعكس نوعاً من الثقافة المتخلفة حسبما تقول التعليقات في الولايات المتحدة، الفكرة لم تخترق عقول الناس بعد، لذلك هناك حملة من الكراهية أعمق بين المسلمين من غير ذوي الأموال ضمن نظام الولايات المتحدة.

وهكذا إن رغبتم الإصغاء إلى بعض الأصوات خارج الشرنقة، فليس من الصعب سماعها، ولسوف يجيبون عن السؤال بشأن السبب الذي من أجله توجد حملة كراهية

ضدنا ، سواء الآن أو في العام ١٩٥٨ وفي جزء كبير من بقية العالم حيث لا يُسعد الناس أن يسحقوا تحت أقدام أي شخص آخر، إنهم لا يحبون ذلك، وبالتالي سيدفعون إلى الكراهية، يمكنكم الانغماس في خيالكم وأهوائكم إن رغبتم، ولكن ذلك خياركم، وبالتأكيد لا ترغبون اتخاذ مثل هذا الخيار.

زيارة الضفة الغربية مع عزمي بشارة

مقتطف من حديث ألقاه تشومسكي
لصالح الدفاع القانوني عن عزمي بشارة
العضو العربي في الكنيست الإسرائيلي وأحد أصدقاء تشومسكي
منذ سنين عديدة، ألقى الحديث في كلية هنتر (Hunter)
في مدينة نيويورك في ٢٥ مايو (أيار) من العام ٢٠٠٢م

إن الذي أتى بنا إلى هنا هذه الليلة هو رفع الحصانة عن عزمي بشارة والاتهامات التي من أجلها سيقدم إلى المحاكمة، والتي تتلخص فيما يلي:

تأكيده بأن للشعب في لبنان الحق في مقاومة الاحتلال الأجنبي، وطرد الجيش المحتل من بلده؛ ودعوته إلى دعم الانتفاضة الحالية بوصفها بديلاً عن الخيارات الأخرى الممكنة، أي إما خضوع واستسلام كامل وإما القتال؛ وجهوده في لم شمل العائلات.

موقف عزمي في هذه المسألة الذي يقوله بصراحة هو أنه طلب من الشعب ألاَّ ينظر إلى المسألة بوصفها حرية كلام، رغم أنها كذلك، بل إنه يدعوهم إلى القول صراحة وبصورة

مباشرة: إن ما قاله صحيح، وليس لأن له الحق في قوله، بل لأن ما قاله صحيح فعلاً؛ فلديه أسبابه القوية لقول ذلك.

لقد أضاف نقطة أخرى، إذ قال: إن المسألة ليست ما قاله، بل لأنه هو بالذات الذي قاله. إن إدانة عزمي بشارة تعد هجوماً على حق العرب الإسرائيليين[1] في اتخاذ موقف سياسي مستقل. وهذا الاستنتاج تمثل مادياً في الاعتداء على شخص عزمي بشارة في أكتوبر من العام ٢٠٠٠ (ولنتذكر أن ذلك حدث فى عهد حكومة باراك، ومعها معسكر السلام كجزء منها). إذ قام في ذلك الوقت ثلاث مئة شخص بالهجوم على بيته، وأصيب عزمي بجروح إثر إصابته برصاص الشرطة، وقتل في هذا الوقت ثلاثة عشر فلسطينياً، معظمهم على يد الشرطة، كل ذلك حصل وهو يتمتع بكامل حصانته، رفض معسكر السلام الإسرائيلي، بمن فيهم مفكرون مشهورن يُعَدُّون هنا على الأقل، إن لم يكن في إسرائيل، ضمير إسرائيل، تقديم أي عون أو دعم له.

وبعد هذه الحادثة، لم ينبس الناطق باسم الكنيست الذي من مسؤولياته الدفاع عن الكنيست وأعضائه ببنت شفة. لم يحدث أي رد فعل، وكما كتب عزمي، أدى هذا الموقف إلى خلق حاجز أخلاقي حاد بينه وبين من يدعمونه في إسرائيل -

(١) إن عزمي بشارة، وكل فلسطينيي الـ٤٨ يرفضون تسميتهم بالعرب الإسرائيلين، لأنهم ليسوا إسرائيليين رغم أنهم يحملون الجنسية الإسرائيلية؛ بل يسمون أنفسهم بـ«العرب في إسرائيل»؛ فاقتضى التنويه. (المترجم)

فهناك بعض من يدعمه - والعربَ الفلسطينيين من جهة وبين من يسمون أنفسهم بمعسكر السلام من جهة أخرى. وأنا أيضاً أعتقد أنه محق في ذلك.

كان عزمي يعبر باستمرار عن احترامه للديمقراطية الإسرائيلية التي تعد فريدة في المنطقة، وعن احترامه للإنجازات الثقافية والاجتماعية التي تعد جزءاً مما يسميه «بناء الأمة العبرية» ولكنها لليهود الإسرائيليين. أما المواطنون العرب في إسرائيل، فهم في أحسن الأحوال متسامَح معهم، ولا حاجة لنا إلى الخوض في تاريخ هذه المسألة الذي لا يشير إلى الأحسن.

دعوني أضف ملاحظة شخصية حول رحلة قمت بها في الضفة الغربية في العام ١٩٨٨. أذكر هذه الرحلة، لأن لها علاقة بعزمي بشارة من ناحية، وبالقضية الحالية من ناحية أخرى. لقد كتبت عن هذه الرحلة أولاً في الصحافة العبرية في إسرائيل، ومن ثم في الولايات المتحدة، لقد ضمنت الطبعة الجديدة من كتابي (مثلث الموت) التي ظهرت قبل بضع سنين، وصفاً لهذه الرحلة.

لم أذكر في ذلك الوقت من كان رفيقي في تلك الرحلة، إنه عزمي بشارة، لم أذكر اسمه لأسباب عادية، إذ لا يذكر المرء أسماء معرضة للعدوان في بلاد تعاني من الاضطهاد والقمع، ولكني أظن اليوم أنه لابأس من ذكر اسمه بعد هذه السنين، وبعد ما حدث، ولهذا سأذكر اسمه.

التقيت عزمي بشارة لأول مرَّة في الساعة السادسة صباحاً في يوم من أيام أبريل (نيسان) من العام ١٩٨٨ ، كان ذلك في مظاهرة خارج سجن الظاهرية المعروف باسم (المذبح). كان الطريق طويلاً إلى السجن الموجود في كيتزيوت (Ketziot) في النقب؛ وهو قاعدة تعذيب مروّعة تعرف عادة باسم (أنصار ٣). أما أنصار واحد فهو القاعة الواسعة التي أقامها الإسرائيليون في جنوب لبنان ليمارسوا فيها التعذيب المروّع للمعتقلين. لقد ذكر في حينه عن وجود مثل هذا المعتقل، أما طبيعته فلم تكشف إلا بعد انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان، وهناك كذلك معسكر أنصار ٢ في غزة. يرسل المعتقل إلى أنصار ٣ بعد دخوله إلى المذبح في الظاهرية.

كانت المدينة القريبة منه محاصرة في ذلك الوقت، لقد أقام المظاهرة إسرائيليون وعدد من الزوار الأجانب الذين كانوا يحضرون مؤتمراً أكاديمياً صدف أن كنت واحداً منهم. حدثت أمور هامة هناك..

والآن سأستمر في موضوعي.

بعد المظاهرة تكوَّمنا في سيارة عزمي، وقاد بنا عبر الضفة الغربية، وقضينا بقية اليوم هناك، بدءاً من نابلس حيث ذهبنا إلى المدينة القديمة وتحدثنا إلى نشطاء في القصبة .Casbah وما من أحد يذهب إلى هناك إلا وتتشكل لديه صور مؤلمة جداً لما حدث أخيراً، إذ لا يستطيع المرء أن يقود سيارته في تلك الشوارع الضيقة، فما بالك بدبابة؟

كانت التقارير الواردة من نابلس أكثر كآبة حتى من تلك الواردة من جنين: إذ يشاهد المرء دماراً رهيباً واسعاً، وقتلاً كثيراً، وكل الأعمال المروعة التي قرأتم عنها. وفي نابلس، يعني ذلك كله، تدميراً لكنوز تاريخية تعود إلى زمن الرومان إضافة إلى ما يعنيه ما يصيب الناس من بلاء.

على أية حال، ذهبنا في العام ١٩٨٨ بعد نابلس إلى قرى في الضفة الغربية التي كان معظمها يتعرض للهجوم، اضطررنا لمغادرة بعضها بسبب دخول الجيش، ولأن أهل القرى المحليين أرادونا أن نخرج، لأنهم كانوا قلقين علينا مما يمكن أن يصيبنا ويصيبهم إذا اكتشف الجيش الإسرائيلي وجود أجانب في قرية من القرى، إذ لديهم تجارب بشعة من قبل.

ومن بين القرى التي ذهبنا إليها، والتي كانت في أتعس حال ومن ثم اشتهرت قبل يومين لما ألم بها من مصائب، إنها قرية بيتا (Beita). بيتا هذه قرية محافظة تقليدية تقع في التلال القريبة من رام الله، وأظن أن الذين يعرفون أنها موجودة هناك ليسوا كثيرين، إن موقعها جذاب جداً، بيوتها قديمة يزيد عمرها على مئات السنين.

أعلنت بيتا أنها محررة، بعد انطلاق الانتفاضة الأولى الأمر الذي أدى إلى قيام الجيش الإسرائيلي بمهاجمتها، وعندما ذهبنا إليها كانت محاصرة عسكرياً، ولكن تمكنا من الوصول إليها بمساعدة محامين من لجنة الحق (القانون في خدمة الإنسان) في رام اجلجلجل، وذلك بسلوكنا طرقاً خلفية،

وتسلق الجبال بمساعدة بعض أهل القرى المجاورة. قضينا هناك ساعتين قبل أن يحل حظر التجول في الساعة السابعة بعد الظهر، حيث ينبغي أن يخرج المرء من القرية وإلا عرّض حياته للخطر، وهكذا خرجنا عبر تلك الطرق.

كان الجيش الإسرائيلي في ذلك الوقت، كما يتذكر بعضكم، قد هاجم القرية ودمرها، ويتلخص سبب هذا الحصار العسكري الصارم فيما يلي: دخلت مجموعة من مستعمرة مجاورة اسمها إيلون موريه (Elon Moreh) حقول قرية بيتا. وكان يقود هذه المجموعة رجل اسمه رومان ألدوبي (Roman Aldubi)، مجرم متطرف - وهو الوحيد الذي حرمته السلطات العسكرية الإسرائيلية من دخول أية منطقة عربية، وجدت هذه المجموعة راعياً في الحقل فقتلته، ثم دخلوا القرية وقتلوا اثنين.

بعد ذلك ألقت أم أحد القتيلين حجراً على رومان ألدوبي فأطلق النار، لكنه أصاب فتاة إسرائيلية من المجموعة ذاتها اسمها تيرزا بورات (Tirza porat)، أدى ذلك إلى رد فعل هيستيري في إسرائيل، بما في ذلك دعوات إلى تدمير القرية وطرد أهلها منها. الجيش الإسرائيلي يعرف تماماً ما حدث، وقال ذلك للشعب، ولكن لسبب ما، ربما كان قطع الطريق على رد فعل أخطر بين سكان المستعمرات، دخل الجيش القرية وسحقها.

وذكرت الرواية الرسمية أن الجيش دمر خمسة عشر منزلاً

بعد إنذار السكان بإخلائها. كان ذلك كذباً خالصاً، إذ كان عدد البيوت التي دمرت حسبما رأينا بأم أعيننا ضعف ما ذكرت الرواية الرسمية على الأقل، وكان واضحاً أنه لم يُعط أحد مهلة زمنية كافية للخروج من بيته، وكان الناس يبحثون في الأنقاض عن ممتلكاتهم وما إلى ذلك.

أودع العديد من الناس السجن بمن فيهم أم أحد الذين قتلوا وأخته الحامل، وطرد فيما بعد حوالي ستة أشخاص من البلاد، وظل الآخرون في السجن، وعلى الرغم من أن الحكومة الإسرائيلية تعلم تماماً أن ألدوبي هو الذي قتل الفلسطينيين والفتاة الإسرائيلية فإنه لم يعاقب رغم تقديمه للمحاكمة، إذ قررت السلطات الإسرائيلية أن الأحداث المأساوية التي وقعت تعد عقاباً كافياً له، وهكذا كان سكان القرية هم الذين لابدَّ من معاقبتهم، فعوقبوا.

هذا معيار مألوف في كثير من هذه الحالات حتى الآن، وعندما كنا هنا - صدف أن كان اليوم قاسياً، برده قارس وأمطاره غزيرة، كما يحدث في مثل هذا الفصل (أبريل) عادة - وكان الذين أزيلت بيوتهم يعيشون في الخلاء ويطبخون في الهواء. كان منظراً بشعاً ومؤلماً. حالتهم مذهلة، لم يستسلموا ولم يذعنوا، كانوا هادئين يبدو العزم والتصميم واضحين على وجوههم، ولدى سؤالهم عما إذا كانوا يقبلون عوناً من يهود إسرائيليين لإعادة بناء بيوتهم، قالوا نقبل بشروط، إذا كانت المعونة صادقة خالصة من النوايا السيئة، يكونون سعداء

بقبولها، أما إذا قدمت لخلق صورة لما يسمونه (إسرائيل الجميلة) وهو مصطلح يستخدمونه في إسرائيل بالعبرية ازدراء للصورة العتمية المألوفة لإسرائيل، فإنهم ليسوا بحاجة إلى قبول ذلك العون، ومن المذهل أننا لم نسمع منهم دعوة للانتقام أو الرد على جرائم الإسرائيليين، بل كل ما شاهدنا، تصميمهم على الاستمرار في الحياة.

رأيت الشيء نفسه بعد يوم أو يومين في رام الله، إذ كان لابدَّ من سلوك طرق خلفية للوصول إلى هناك؛ كانت رام الله أيضاً محاصرة، وعندما وصلت إليها مع صديق عربي وآخر إسرائيلي، كانت المدينة ملفّعة بهدوء غريب. سرنا عبر المدينة، ووصلنا إلى مشفى رام الله فدخلناه. لم يكن فيه أطباء ولا ممرضات، ولا موظفون ولا مرافقون للمرضى، بل كان يعج بالناس، ثم اكتشفنا أن السبب هو وجود خلاف في الخارج مع وجود عسكري كثيف، فأُنذر الموظفون بالبقاء بعيداً، كانت الأسرة مليئة، وهو مشهد مشفى عادي: حيث السيرومات خارجة من الأذرع، وما شابه ذلك من عمل. لقد وصفوا لنا ما حدث لهم، بعضهم من الأطفال، وبعضهم من الكبار. لقد تعرضوا لأعمال وحشية أثناء قيام إسرائيل بقمع الانتفاضة، وشاهدنا عليهم الملامح نفسها، تصميم هادئ، لم ينطقوا بكلمة انتقام أو ثأر.

كل ذلك يكشف الحقيقة الساطعة للاحتلال العسكري. لقد استمر أربعاً وثلاثين سنة، قاسياً وحشياً قمعياً منذ

البداية، إضافة إلى سرقة الأراضي والموارد الطبيعية، ومع ذلك لم يكن هناك ثأر من الأراضي المحتلة، كانت إسرائيل محصنة ضد أي هجوم من ضمن المناطق المحتلة، كانت هناك هجمات من خارجها، بما في ذلك أعمال وحشية رغم أن تلك الأعمال لم تكن سوى نزر يسير جداً مما تقوم به إسرائيل من أعمال وحشية، وعندما أشير إلى إسرائيل إنما أعني إسرائيل وأمريكا لأن ما من عمل تقوم به إسرائيل إلا ضمن الحدود التي تسمح لها الولايات المتحدة بها، وبتخويل من أمريكا ودعمها، ولهذا فهي أعمال وحشية أمريكية-إسرائيلية.

ولهذا سببت أحداث السنة المنصرمة صدمة، لقد خسرت الولايات المتحدة وإسرائيل احتكار العنف بصورة تامة. مازالتا مهيمنتين في هذا المجال، ولكن لم يعد العنف حكراً عليهما فقط، ذلك أمر مروّع، إذ كانت أحداث ١١ سبتمبر من النوع ذاته تماماً، ولكن على نطاق عالمي، كان ١١ سبتمبر عملاً وحشياً مروّعاً، ولكنه لم يكن جديداً. فهناك الكثير من الأعمال الوحشية المماثلة، والفرق هو أنها حدثت في مكان آخر.

ملاحظة

١- في خطوة لم يسبق لها مثيل، رفع الكنيست الحصانة البرلمانية عن عزمي بشارة في نوفمبر من العام ٢٠٠١، فاتحاً الباب لمحاكمته من قبل المدعي العام الإسرائيلي بتهمتين:

الأولى انتهاكه لمرسوم منع الإرهاب، استناداً إلى خطابين ألقاهما بشارة أكد فيهما حق الشعوب المحتلة في مقاومة الاحتلال.

أما التهمة الثانية فهي انتهاك قوانين الطوارئ للعام ١٩٤٨، استناداً إلى ما كان يقوم به بشارة من ترتيبات لإجراء زيارات إنسانية تجمع كبار السن من الفلسطينيين في إسرائيل مع أقربائهم اللاجئين في سورية.

انحياز الإعلام وفلسطين

مقتطف من بحث مع مجموعة صغيرة
بعد حديث تشومسكي في بالو ألتو (Palo Alto)
كاليفورنيا، ٢٢ مارس (آذار) ٢٠٠٢م

س: هل يساورك أي قلق إذا أصبحت شركة (CNN) وشركة MSNBC الإعلاميتان ناطقتين باسم الأجهزة العسكرية الأمريكية؟

تشومسكي: إنهما الآن أقل تمثيلاً للأجهزة العسكرية الأمريكية من ذي قبل. لذلك لم يصبحوا، بل كانوا دائماً كذلك، ولكنهما الآن بدرجة أقل قليلاً، ولنأخذ MSNBC على سبيل المثال. فمنذ الحادي عشر من سبتمبر انفتحت وسائل الإعلام، على الأقل وسائل الإعلام التجارية، وليس أقلها محطتا NPR وPBS فمثلاً، كنت ضيفاً على برنامج طويل من المناقشة مع آخرين في محطة MSNBC في نوفمبر من العام ٢٠٠١ لأول مرّة، قضى مايك ألبرت (Mike Albert) ساعة. وكان هوارد زن (Haward zinn) ضيفاً كذلك، لم يحدث مثل هذا الشيء من قبل، إنه نوع من القلق الجماهيري الذي أجبر وسائل الإعلام على فتح أبوابها قليلاً.

س: آمل أن تكون محقاً، لكنني أميل إلى الشك في ذلك.

تشومسكي: ينبغي أن تكون كذلك، يجري تركيز الإعلام فعلاً، ولكن هناك ضغوط أخرى أعتقد أنها أهم من ذلك.

س: لماذا؟ ما الآلية التي تؤثر بفضلها الحكومة على وسائل الإعلام؟

تشومسكي: إنها لا تؤثر، ليس للحكومة أي نفوذ على وسائل الإعلام.

س: كيف يحدث ذلك إذن؟ ما الآلية الهامة؟

تشومسكي: سؤالك شبيه بسؤال كهذا: كيف تستطيع الحكومة إقناع شركة جنرال موتورز (Genenal Motors) كي تزيد أرباحها؟ لا معنى لمثل هذا السؤال.

وسائل الإعلام مؤسسات ضخمة تشارك القطاع المشترك الذي تهيمن الحكومة على مصالحه. فالحكومة لا تستطيع أن تقول لوسائل الإعلام ما يفعلونه، لأنها لا تملك القدرة على ذلك. في ما يتعلق بهذا الأمر تعد الولايات المتحدة عادة حُرَّة، في حين تستطيع الحكومة في إنكلترا مداهمة مكتب الBBC وتوقفهم عن فعل أمر ما، أما في الولايات المتحدة فلا تستطيع الحكومة ذلك.

حسناً، لدينا حرية ليست موجودة في إنكلترا، ولهذا ليس للحكومة أيُّ نفوذ على وسائل الإعلام، فإذا ما قررت وسائل الإعلام فعل شيء، فإن الأمر يعود إليهم.

س: إذن ما الذي يمنع أمراً مثل قضية تيمور الشرقية أو سواها من الظهور؟ لم لا يوجد مزيد من المعارضة في وسائل الإعلام؟ هل لأن الناس لا يريدون سماعها، وبالتالي لا يكسب مثل هذا الإعلام المعارض؟

تشومسكي: لم تهتم مؤسسة كبرى في كشف حقيقة تورطها في عملية إبادة الجنس؟

س: ليست وسائل الإعلام هي المتورطة، بل حكومة الولايات المتحدة.

تشومسكي: وسائل الإعلام جزء من النظام الذي يُسيّر حكومة الولايات المتحدة، إنها تشترك في مصلحة جعل إندونيسية مصدراً رئيسياً للموارد التي سيستغلونها، وفي كونهم سلطة قوية تهيمن على ذلك النظام. فلماذا يكشفونها، إذن؟ وبوجه خاص، لماذا يكشفون حقيقة اشتراكهم هم أنفسهم في مسؤولية ذبح مئات الآلاف من الناس؟ وللسبب نفسه لم تذكر وسائل الإعلام ما جرى في تركية خلال السنتين المنصرمتين، ليس ذلك في مصلحتهم.

دعوني أضرب لكم مثلاً بسيطاً، لقد بدأت الانتفاضة في الأراضي الفلسطينية المحتلة في ٢٩ سبتمبر (أيلول) من العام ٢٠٠٠، في الأول من أكتوبر (تشرين أول)، أي بعد يومين فقط، شرعت إسرائيل باستخدام طائرات الهيليكوبتر الأمريكية - أقول الأمريكية لأنه ليس لدى إسرائيل

طائرات هيليكوتبر إسرائيلية - لمهاجمة أهداف مدنية، مجمعات سكنية، وما إلى ذلك، تقتل وتجرح عشرات الناس. استمر القصف يومين، ولم يرد الفلسطينيون عليها بالنار، بل كان ردهم فقط حجارة يلقيها أطفال. وفي الثالث من أكتوبر، بعد يومين من ذلك، قام كليتون بإرسال أكبر صفقة من طائرات الهيليكوبتر العسكرية إلى إسرائيل، وكانت أكبر صفقة تعقدها الولايات المتحدة في ذلك القرن من الزمان، ورفضت وسائل الإعلام هنا نشر خبر هذه الصفقة؛ وحتى اليوم لم يرد أي تقرير عن ذلك.

كان ذلك قرار المحررين، وصدف أني أعرف بعض محرري صحيفة بوسطن غلوب (Boston Globe). أقمت هناك خمساً وأربعين سنة. التحقت بجماعة ذهبوا إلى المحررين وتحدثوا معهم، فأوضح المحررون ببساطة أنهم لن ينشروا مثل هذا الخبر. واتخذت جميع الصحف في الولايات المتحدة القرار نفسه. قام أحدهم بالبحث عن قاعدة معطيات، فلم يجد في البلاد كلها سوى رسالة في راليه (Raleigh) في كارولاينا الشمالية (North Carolina).

والآن، هل طلبت منهم الحكومة ألا ينشر مثل هذا الخبر؟ لا، فلو طلبت الحكومة منهم ذلك لنشروه تعبيراً عن سخطهم، إلاَّ أنهم وجدوا من مصلحتهم ألاَّ يقولوا: إنه ما إن شرعت إحدى قواعد الولايات المتحدة - وهي إسرائيل التي اختارت لنفسها أن تكون كذلك - باستخدام طائرات

هيليكوبتر أمريكية بقتل المدنيين، حتى سارعنا بإمداد هذه القاعدة بالمزيد من الطائرات، ليس من مصلحة مكاتب المحررين أن يفعلوا ذلك، ولهذا لم ينشر الخبر.

صدف أن كانت هذه القضية ضيقة بصورة غير عادية ومن السهل تحديدها، ولكن هذا السلوك معمم.

س: تقول: إن الولايات المتحدة تحاول سد الطريق أمام السلام في الشرق الأوسط، أولاً لم تقول ذلك؟ ما دام كلينتون بدا وكأنه كان يحاول تحقيق تقدم في هذا المجال؟

تشومسكي: كان يحاول تحقيق تقدم وصل تقريباً، وليس تماماً، إلى مستوى جنوب إفريقية قبل أربعين عاماً.

س: ما الدافع؟

تشومسكي: الدافع هو أن إسرائيل قاعدة عسكرية أمريكية، وهي قوية، إنها واحدة من الدول، مثل تركية، التي تسيطر على منطقة الشرق الأوسط عسكرياً لصالح الولايات المتحدة. أما الفلسطينيون فلا يقدمون شيئاً لأمريكا، ليس لديهم أية قوة، ولا يملكون أية ثروة، ولهذا ليس لهم أي حق في أي شيء.

س: أليس من الأفضل تحقيق السلام بدلاً من كل ذلك؟

تشومسكي: ذلك يعتمد على نوعية ذلك السلام، في النهاية، ربما توافق الولايات المتحدة على ما وافقت عليه جنوب إفريقية قبل أربعين عاماً، لم توافق جنوب إفريقية

فحسب، بل بادروا بإنشاء ولايات سود - البانتوستانز (Bantustans). من المفهوم أن الولايات المتحدة ربما ترتفع، عاجلاً أم آجلاً، إلى مستوى جنوب إفريقية في أحلك أيام الأبارتيد (Apartheid) - التميز العنصري العرقي - وتسمح بإقامة بانتوستان فلسطيني في المناطق المحتلة، لن أفاجأ، أعتقد أنهم يرون تحقيق ذلك، يعد عملاً بارعاً يقومون به.

س: هل يعني ذلك أي شيء؟

تشومسكي: ليس كثيراً، إنه يعني بقدر ما عناه ترانسكي (Transkei)، هل سيسمحون بدولة مستقلة فعلاً؟ لا، ربما لأن مثل هذه الدولة سوف تتدخل في سلطتهم، إسرائيل قاعدة للقوة الأمريكية عبر البحار، فإن توقفت عن كونها كذلك فلسوف تتخلى عنها الولايات المتحدة كغيرها، ولكن ما داموا يشكلون قاعدة أمامية للقوة الأمريكية، فيمكنهم عمل ما يشاؤون.

س: إذن ما فعله كلينتون كان مزيفاً؟

تشومسكي: لم يكن زيفاً، هل رأيت خارطة كلينتون؟ تجد فيها سبباً وجيهاً، لم تنشر الصحافة الأمريكية كلها خريطة لما طرحه كلينتون، والسبب هو أنه ما إن يرى المرء الخريطة حتى يدرك ما كان يجري. خريطة كلينتون تقسمّ الضفة الغربية إلى أربعة كانتونات منفصلة بعضها عن بعض، القدس الشرقية، التي هي أحد الكانتونات، تعد مركز الحياة الفلسطينية، ومع ذلك فهي معزولة عن بقية الكانتونات، والضفة بكاملها أيضاً

معزولة عن قطاع غزة المقطع هو الآخر إلى كانتونات، لا ترقى هذه الخريطة حتى إلى مستوى جنوب إفريقية في أيام البانتوستانات، ولهذا لم تنشر الصحافة أية خرائط.

س: ألم تتغير الأمور منذ ذلك الحين؟

تشومسكي: نعم. إذ أصبحت في العام ١٩٧٠ أكثر سوءاً خلال سبتمبر (أيلول) الأسود، تذكروا كيف بدا الأمر لفترة معينة أن سورية ستتحرك لحماية الفلسطينيين الذين كانوا يذبحون في الأردن، لم تكن الولايات المتحدة راغبة في تدخل سورية، لكن حكومة الولايات المتحدة كانت قد تورطت في كمبودية - أما في الأردن فلم تستطع إرسال قوة عسكرية لتقوم بأي عمل، رغم أن البلد كان كله متفجراً. لذلك طلبت أمريكا من إسرائيل التدخل عن طريق استنفار قوتها الجوية - التي هي أساساً ملحقة بالقوة الجوية الأمريكية - لمنع سورية من التحرك، ففعلت، وتراجعت سورية، فذبح الفلسطينيون، وتضاعفت المساعدات الأمريكية لإسرائيل أربع مرات، واستمر هذا طوال سبعينات القرن العشرين.

سقط الشاه، ركن القوة الأمريكية الأكبر، في العام ١٩٧٩ فأصبحت إسرائيل أكثر أهمية لدى أمريكا. وظلت هكذا حتى يومنا هذا، نشرت الصحيفة المصرية الرئيسة مؤخراً مقالة بعنوان «محور الشر». قالت: نعم هناك «محور شر» يتألف من الولايات المتحدة، وإسرائيل، وتركية. إنه محور شر مصلتٌ على الدول العربية، وما زال بينهم تحالف قوي منذ

سنين طويلة، ويقومون بمناورات عسكرية مشتركة في المنطقة كلها. تعد إسرائيل أقوى قاعدة وأكثرها موثوقية. أما الآن فقد اندمجت في الاقتصاد العسكري الأمريكي بحيث لم يعد بالإمكان التميز بينهما.

لذلك فهي ذات قيمة كبيرة لدى الولايات المتحدة، في حين أن الفلسطينيين لا قيمة لهم، وقيمة الفلسطينيين لدى الولايات المتحدة لا تزيد عن قيمة شعب رواندا (Rwanda).

س: ألا ترى أن ذلك يفسد العلاقات مع بعض الدول العربية التي ترغب في أن تكون وثيقة الصلة بالولايات المتحدة؟

تشومسكي: ذلك هو السبب بالضبط، الذي جعل واشنطن تأمر شارون بأدب بالغ بسحب دباباته وجنوده من المدن الفلسطينية، لأن وجودها يتعارض مع مهمة ديك تشيني. السيد يتكلم والعبد يطيع، ولهذا انسحبوا في غضون دقائق، ولكن لا تنسوا أن قادة الدول العربية يؤيدون إسرائيل بمستوى معين، لأنهم يدركون أن إسرائيل تشكل جزءاً من النظام الذي يحميهم من شعوبهم.

س: ولهذا يسعون للحصول على ذريعة ليكونوا أكثر دعماً لسياسة الولايات المتحدة، لو أن إسرائيل تسمح لهم بذلك.

تشومسكي: ولهذا يتمنون على الولايات المتحدة أن تلطف إسرائيل عنفها، فلا تقتل كثيراً من الفلسطينيين، وفي النهاية، كل شيء يجري في تلك المنطقة له علاقة بالنفط.

كيف ينبغي أن يكون ردُّنا؟

يحتوي هذا الفصل مناقشات عديدة حول تكتيكات المقاومة
مأخوذة من جلسة «السؤال والجواب»
التي عقدت بعد الحديث في بالو ألتو (Palo Alto)
وبعد الحديث الذي قُدِّم لصالح تحالف أطفال الشرق الأوسط
على مسرح جالية بركلي (Berkley)
في ٢١ مارس (آذار) من العام ٢٠٠٢م

س: أشكرك ثانية، أستاذ تشومسكي، على هذا الحديث. سؤالي يتعلق بأمر ألمحت إليه قبل قليل عندما تحدثت عن هاييتي. أتيحت لي فرصة هذا الصيف للاستماع إلى كلمة ألقاها الجنرال روميو دالير (Romeo Dallaire) المسؤول عن بعثة الأمم المتحدة في رواندا، حول إصابته بالإحباط لدى رؤيته عمليات إبادة الجنس البشري تجري حوله، في حين لم يبد أحد أي اهتمام، ولم تحرك أية قوة في العالم ساكناً تجاه ذلك.

وقال: إن استنتاجه الأساسي هو أن أصبح في نظره عنصرياً في طبيعته، لأنه يسمح بمثل هذه المذابح. ولديَّ رغبة فيما إذا كنت ستعلق على استنتاجه المتشائم نوعاً ما، وفيما إذا

كنت توافق على ذلك التقويم، أو ما إذا كان ينبغي وصف الحالة بصورة أخرى.

تشومسكي: أولاً: لا أظن أن ما حدث تمييزٌ عنصري، بصورة خاصة. بل إن ما حدث لا يهم كثيراً. تذكر أنه كان يتحدث عن رواندا في العام ١٩٩٤، بيد أن ما شاهده هناك كان يحدث في بوروندي ورواندا منذ سنين. ألّفت بالاشتراك مع إدهيرمان (Ed Herman) كتاباً قبل ثلاثة وعشرين عاماً بحثنا فيه الأعمال الوحشية في هوتو/ توتسي (Hutu / Tutsi) في بوروندي ورواندا التي ذهب ضحيتها مئات الآلاف من الناس. ولم يبد أحد أي اهتمام حينذاك، ولا أحد يبدي اهتماماً ما اليوم. وفي السنتين أو الثلاث الماضية، قتل بضعة ملايين من الناس في الكونغو، ولم يبد أحد أي اهتمام، ذلك لأن تلك الأحداث لم تؤثر على المصالح الغربية، لهذا لا تحاول أن تفعل شيئاً بشأنها.

يمكن أن يكون الذين قتلوا من أي لون أو دين، فإن ذلك لا يهم. إذ إن المبدأ هو: هل تؤثر الأحداث على مصالح الولايات المتحدة؟ فلو نظرت إلى الأكراد الذين تحدثت عنهم، نجد أنهم آريون، إن كان ذلك يهم أحداً. فإذا مشوا في الشوارع فإنك ترى آريين ببشرة أدكن قليلاً، بحيث لا يلاحظ هذا الاختلاف. أما إذا ذبحوا، فذلك جميل. ليس الأمر كما تصور دالير. إنه يتحدث عن أمر سيئ، ألا وهو عدم رغبتنا في وقف الأعمال الوحشية. بل الأسوأ من ذلك بما لا يقارن هو

رغبتنا في الاشتراك بالأعمال الوحشية. ويكون الأمر أسوأ بكثير أيضاً لو أننا لا نفعل شيئاً، بل نضع البنادق بأيدي القتلة وهم يرتكبون جرائمهم، ونستمر في دعمهم.

لا بد من الحذر قليلاً. إن ما قاله صحيح، ولكنه يتعلق بالتسامح. فلو ألقيت نظرة على صحيفة نيويورك رينيو أوف بوكس (New York Reniew of Books) هذا الأسبوع، مثلاً، ستجد فيها مقالة عاطفية كتبها المدير التنفيذي لمركز كار (Carr Center) لسياسة حقوق الإنسان في مدرسة كينيدي في هارفارد الحكومية، سامانتا بور (Samanth Powen)، تبحث في فشلنا المأساوي في إيلاء اهتمامنا إلى الأعمال الوحشية التي ترتكبها الشعوب الأخرى، وفشلنا في عمل أي شيء تجاهها. إنه لعيب عميق في شخصيتنا، حسناً، إنها مشكلة.

ولكن المشكلة الأخطر، التي لم يرد لها ذكر في المقالة، والتي لو ذكرت لا يفهمها أحد، هي أننا نهتم اهتماماً بالغاً بالأعمال الوحشية، ونتدخل لتصعيدها، بل نهلل لها دائماً. والحالة التركية ليست سوى مثال واحد. لم يرد في المقالة أمثلة عديدة، ولا يمكن أن يرد فيها. فلو كتبت مقالة حول ذلك، فلن تنشر، وإن نشرتها لا يفهمها أحد، من المثقفين جيداً على الأقل. وتلك هي النقطة الهامة.

نعم. إنه لأمر سيئ أن نغمض أعيننا عن الجرائم التي يقترفها الآخرون، ولا نفعل شيئاً بشأنها، ولكن الأهم من ذلك بكثير هو أن ننظر في المرآة لنرى ما نحن فاعلون، ولنتخذ

خطوات ما بشأن ذلك. ولهذا أوافق دالير قليلاً. يبدو لي أن المسألة سيئة ولكنها صغيرة في ميزان المسؤوليات الأخلاقية أو العواقب الإنسانية.

س: قلت إنه لا ينبغي أن نقول الحقيقة، بوصفنا مواطنين، للسلطة، بل للشعب. ألا ينبغي أن نفعل الاثنين؟ هل لك أن تحدثنا المزيد عن هذا الموضوع؟

تشومسكي: هذه إشارة إلى النقطة الوحيدة التي أختلف فيها مع أصدقائي الكويكر (Quaker). أنا أتفق معهم عادة على كل خطوة عملية، ولكني أختلف معهم حول شعار «قول الحقيقة إلى السلطة». لأن السلطة، أولاً، تعلم الحقيقة. فلا حاجة لسماعها منا. وثانياً، أن ذلك مضيعة للوقت؛ فضلاً عن أن السلطة هي الجهة المخطئة التي يوجه إليها الكلام. إذ علينا أن نقول الحقيقة للشعب الذي سوف يفكك السلطة ويحد من قوتها. إضافة إلى أنني لا أحب عبارة «قول الحقيقة إلى...» فنحن لا نعلم الحقيقة. على الأقل أنا لا أعلمها.

علينا أن نلتحق بالذين يرغبون في الالتزام بالحد من قوة السلطة، ونصغي إليهم. فهم يعرفون دائماً أكثر مما نعرف. وعلينا الالتحاق بهم لنقوم بالأنشطة الصحيحة. فهل ما زلت راغباً في قول الحقيقة للسلطة؟ إن كنت تشعر بذلك، فلا بأس. أما أنا فلا أرى ذلك مجدياً. فلست مهتماً بأن أقول للشعب عن بوش ما يعرفه الشعب قبلي.

س: فكرت ألا أدفع ضرائبي احتجاجاً على استخدام دولارات الضرائب في تمويل الأعمال العسكرية التي تقوم بها حكومتنا. فما رأيك في ذلك؟

تشومسكي: كما قلت سابقاً، لا أثق أبداً بحكمي التكتيكي. ولكني أقدم لك تجربتي الخاصة حاولت وصديقين من أصدقائي، في العام ١٩٦٥، أن ننظم حركة قومية مناهضة للضرائب. لا أدعي أنها كانت ناجحة نجاحاً غامراً، لم تكن كذلك، بيد أن عدداً من عناصر الحركة امتنعوا عن دفع الضرائب لبضع سنين، أما أنا فامتنعت عشر سنين. ولا أعلم إن كان ذلك فعالاً أم لا. لا أستطيع الحكم. وأعلم ما الذي جرى للبعض.

يأتي دور الحكومة عشوائياً. ففي بعض الحالات يلاحظونك. وأعرف حالات لوحق فيها الممتنعون عن دفع الضرائب، فاستولت الحكومة على بيوتهم وممتلكاتهم، وما أشبه ذلك. أما فيما يتعلق بي، فكان الرد نوعاً من إرسال رسائل عاطفية إلى (IRS) وقرئت في حاسوب معين فأعاد لي صيغة رسالة قال فيها ما قال. وبما أنه لا مفر، إذ صممت على عدم دفع الضرائب، ذهبت الحكومة إلى مصدر راتبي فاقتطعت الضرائب والغرامات المترتبة على التأخير. وهكذا حصلوا على الضرائب. ولم يفعلوا أكثر من ذلك. بيد أنهم فعلوا، كما أسلفت، في حالات أخرى.

أما كم أثر ذلك على السياسة، وكيف يكون الحال لو

كانت هناك حركة جماهيرية واسعة مناهضة للضرائب، وهو أمر لم نستطع تحقيقه، فلا أعلم. فهذه أحكام تكتيكية صعبة، وليس فيها أية بصيرة. إذ لا أثق حتى بنصيحتي، وما من سبب يجعلك تثق بنصيحتي.

س: أريد أيضاً أن أشكرك على إشراكنا في معلوماتك التنويرية بشأن العديد من الأعمال الإجرامية التي تمت لصالح بلادنا، ويبدو أن في هذه الغرفة كثيرين ممن يركزون على العمل. وفي ضوء ما قلتَ هنا هذه الليلة، وفي ضوء ما جرى في أفغانستان، كما نعلم، ربما تكون الأعمال التي تنتظرنا هي تعرية الشركات التي ترعى انتشار الأسلحة التي تساعد على خلق وبناء توتر عرقي وأعمال وحشية متتالية.

ولهذا أردت أن أسألك هل نوقش موضوع التعرية، أو العمل في هذا المجال، في أي مكان آخر؟

تشومسكي: نعم. لقد نوقش، بالتأكيد، وينبغي أن يناقش. إنه سؤال تكتيكي، ولا أعني بذلك أنه سؤال صغير، بل هو سؤال ذو مغزى كبير وأهمية عظيمة. لأن الأسئلة التكتيكية هي التي تسفر عن نتائج إنسانية. إلاّ أن هذه الأحكام ضعيفة. عليك أن تحاول تحديد معالم نتائج هذا العمل ضمن الظروف القائمة، وأن نعلم تماماً من هم الذين سوف تصل إليهم، وكيف سيفهمك الناس، وهل سيكون عملك هذا أساساً لجهد تنظيمي يصل إلى شيء آخر، وهكذا.

كانت مثل هذه الحملات ناجحة أحياناً. ففي جنوب إفريقية كانت حملات مماثلة، وكان لها أثر على سياسة الولايات المتحدة. ولنتذكر كيف كانت سياسة الولايات المتحدة - إنها من الأمور التي تُخفى تحت السجادة، لهذا دعوني أذكركم. كان المؤتمر القومي الإفريقي بزعامة نيلسون منديلا مصنفاً كمنظمة إرهابية في العام ١٩٨٨، بل أسوأ من ذلك، في واقع الأمر. إذ أدرجت وزارة الخارجية الأمريكية هذا التنظيم في طليعة أشهر المجموعات الإرهابية. وفي العام ١٩٨٨ نفسه رُحّبَ بجنوب إفريقية دولة حليفة مفضلة. قتلت حكومة جنوب إفريقية في عهد ريغن وحده، في ثمانينات القرن العشرين، حوالي مليون ونصف إنسان في البلدان المحيطة بها، وليس في داخل جنوب إفريقية، وأحدثت أضراراً بقيمة ستين مليار دولار نتيجة أعمالها الوحشية بدعم من الولايات المتحدة وبريطانيا.

هذا في العام ١٩٨٨. أما في ديسمبر من العام ١٩٨٧ فقد أصدرت الأمم المتحدة قراراً كبيراً يدين الإرهاب بكل أشكاله، ودعت كل الدول في العالم أجمع أن تفعل ما بوسعها لقمع هذا الطاعون المخيف وإخماده. لم يصدر القرار بالإجماع، بل امتنعت دولة واحدة عن التصويت هي هندوراس (Hondoras)، وصوتت ضده دولتان هما الولايات المتحدة وإسرائيل، وعندما تصوت الولايات المتحدة ضد قرار فإن أحداً لا يذكر ذلك ويختفي من التاريخ، وهذا ما حَلَّ بقرار الأمم المتحدة الكبير ضد الإرهاب.

وشرح المصوتان ضده أسبابهما. ذلك أن القرار تضمن فقرة نصها كالآتي: «لا يمكن لأي شيء في القرار الحالي أن يمس حق تقرير المصير، وحق الحرية والاستقلال للشعوب المحرومة بالقوة من هذه الحقوق؛ وذلك بما يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة؛ وخصوصاً تلك الشعوب التي ترزح تحت أنظمة عنصرية واحتلال أجنبي أو أي شكل من أشكال الهيمنة الاستعمارية، ولا يجوز المسّ بحق هذه الشعوب في النضال من أجل الوصول إلى حقوقها والبحث عن دعم من أجل ذلك». وكان على الولايات المتحدة وإسرائيل أن تصوتا ضده لأنهما فهما أن عبارة «أنظمة استعمارية وعنصرية» يُقصد بها جنوب إفريقية، التي كانت حَليفاً قيّماً، في حين كان المؤتمر القومي الإفريقي (ANC) أحد أكثر المجموعات الإرهابية شهرة في العالم. ولهذا ليس له الحق في النضال ضد النظام العنصري (الأبارتيد)؛ كما فهما أن عبارة «احتلال أجنبي أو أشكال الهيمنة الاستعمارية الأخرى» يُقصد بها احتلال إسرائيل العسكري للضفة الغربية وقطاع غزة الذي ما زال مصوناً بتدخل الولايات المتحدة وحدها للسبب ذاته.

ما زالت الولايات المتحدة تحول دون التوصل إلى تسوية دبلوماسية للاحتلال الإسرائيلي منذ أكثر من ثلاثين عاماً. وأطلق على عملية الحيلولة دون التوصل إلى تسوية سياسية اسم «عملية السلام» إذ يشير هذا المصطلح إلى ما تفعله الولايات المتحدة، ألا وهو منع التوصل إلى تسوية سياسية. وهذا السلوك في هذه الحالة أحادي الجانب. إنه ليس نظاماً

لطيفاً، بل نظام قاسٍ وحشي منذ بدايته، وما زال كذلك. ولهذا كان لابد للولايات المتحدة وإسرائيل من التصويت ضد تلك الصفة.

كان ذلك في العام ١٩٨٨. وبعد بضع سنين اضطرت الولايات المتحدة أن تحول موقفها من جنوب إفريقية. اضطرت بفضل الجهود الشعبية بما في ذلك حملات التعرية التي لم تؤثر فقط على الشركات تأثيراً بالغاً، بل كان لها كذلك تأثير رمزي على نسف أعمال الولايات المتحدة وتصرفاتها. كان هناك حظر مفروض على جنوب إفريقية، ولكن تجارة الولايات المتحدة معها ازدادت في ظل الحظر، لأنهم لم يكونوا يأبهون به لأسباب ذكرتها قبل قليل. بيد أن الحملة الشعبية ساعدت على تحويل موقف الولايات المتحدة. أما في الحالة الأخرى (احتلال الضفة والقطاع) فلم تصل الجهود الشعبية إلى حد إجبارها على تحويل موقفها، ولكن بإمكانها ذلك. والواقع أنه طرحت اقتراحات للقيام بحملات تعرية تتركز على مساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل، وعلى الأسلحة العسكرية.

والآن، عليكم بالطبع أن تفهموا أنكم عندما تتكلمون عن منتجي المعدات العسكرية، إنما تتكلمون، بالضبط، عن اقتصاد التكنولوجيا العالية بأكمله. إذ لا تستطيعون أن تنتقوا منتجي المعدات العسكرية، وتتركوا الباقي. والواقع، لو ألقينا نظرة على مجمل ما تنفقه الحكومة، سنلاحظ أن نفقات السنتين الماضيتين على المجالات البيولوجية قد تضاعفت بسرعة. ويعود

السبب إلى أن كل سيناتور أو كل عضو في الكونغرس مهما كان جناحه يمينياً - فاليمينيون يعرفون، في الواقع، أكثر من سواهم - يدرك أن الطريقة التي يعمل بموجبها الاقتصاد هي أن يكون هناك قطاع حكومي دينامي يتحمل الشعب نفقاته ومخاطره، وإذا نجم عن ذلك أي فائض أو ربح فإنه يذهب إلى الجيوب المشتركة العميقة. ذلك ما يسمى بالمؤسسة التجارية الحرة، في علم الاقتصاد. تلك هي الطريقة التي يعمل فيها الاقتصاد. وذروة الاقتصاد، أي أقصى ما يمكن أن يصل إليه، في المستقبل هو الصناعات القائمة على البيولوجيا، والتكنولوجيا البيولوجية، والهندسة الجينية وما إلى ذلك. ولهذا ينبغي أن يتدفق مزيد من المال إلى البيولوجيا الأساسية وتطبيقاتها الآن بذريعة محاربة الإرهاب البيولوجي.

فلا بد أن تشاهدوا أموراً تجري تحت هذه الذريعة، فعلى سبيل المثال، دَمَّرت الولايات المتحدة الجهود الدولية طوال ست سنوات من أجل إقامة منهج تدقيق سليم لمعاهدة ضد الإرهاب البيولوجي. عارضت إدارة كلنتون ذلك، لأن هذا لا يحمي مصالح الولايات المتحدة التجارية، أي مصالح شركات الصيدلة والتكنولوجيا البيولوجية؛ لأن نظام التحقق والتدقيق ربما يطلع على ما يفعلونه.

لهذا عارضت إدارة كلنتون، في حين أن إدارة بوش قتلت تلك الجهود نهائياً. وهناك أسباب عديدة أحدها ذكرته قبل قليل. وهناك أسباب أخرى. لقد تبين أن الولايات المتحدة تنتهك المعاهدات الموجودة المناهضة للإرهاب البيولوجي.

ومن الوسائل الدالة على ذلك هي الهندسة الجينية. هناك، من حيث الظاهر، جهود لإيجاد أنواع من الجمرة الخبيثة مقاومة للقاح عن طريق الهندسة الجينية. يعد إنتاج أنواع مقاومة لأي لقاح أو علاج هاجساً لدى علماء بيولوجيا الميكروبات. يجري الادعاء دائماً بأن ذلك محظور، ولكن الولايات المتحدة تقوم بمثل هذه التجارب، وهناك مشروعان آخران مماثلان. ويتم ذلك تحت ذريعة الحماية من الإرهاب البيولوجي.

لكن ما يجري أساساً هو تطوير العلم والتكنولوجيا اللذين يسمحان بإنشاء صناعات بيولوجية في المستقبل تهيمن عليها الولايات المتحدة. وهكذا عندما تتكلمون عن ملاحقة منتجي الأسلحة، إنما تتكلمون عن فئة واسعة من الإنتاج.

س: ربما ننتقي شركاتٍ تمثل هذه الصناعات، أربعاً أو خمساً لكل قطاع رئيسي.

تشومسكي: أنت محق. أي لا بد من أن نفهم أن هذه الشركات أشكال رمزية لا يجوز إهمال أهميتها. إنها رمزية، ولكنها هامة جداً. وتغدو هامة أكثر إذا ما استخدمت أداة تربوية وتنظيمية. ذلك مهم جداً. لذلك ينبغي ألا يساورنا وهم بأننا سنضع نهاية لإنتاج السلاح، لأن ذلك يعني بوضوح، إنهاء الاقتصاد. بيد أن جهداً كهذا مهم جداً كما هو الحال في جنوب إفريقية، لأنه وسيلة من وسائل التنظيم والتربية، ويمكن أن يكون له نتائج هائلة. إذ استطاع الشعب أن يغير سياسة الولايات المتحدة تجاه جنوب إفريقية في غضون سنتين.

الولايات المتحدة في العالم

مقتطفات من جلسة «السؤال - والجواب»
برعاية طلاب العدالة في فلسطين
في جامعة كاليفورنيا - باركلي (California - Barkly)
في التاسع عشر من مارس (آذار) من العام ٢٠٠٢م

س: السؤال التالي شائع، وهو: كيف تفسر التحوُّل في سياسة الولايات المتحدة لدعم فلسطين واحتمال إيجاد دولة فلسطينية؟

تشومسكي: أفسر ذلك بالطريقة ذاتها التي فسَّرت تحول سياسة الولايات المتحدة لتفكيك النظام العسكري وتسليمه إلى أندورّا (Andorra). ومنذ أن حدث ذلك لم يعد هناك ما يُفَسَّر. ليس هذا تحولاً في السياسة أبداً. إنها مهزلة كاملة. كل ما حدث هو أن ديك تشيني يجوب الشرق الأوسط محاولاً الحصول على دعم الحرب المقبلة ضد العراق[1]، وهي مهمة

---

(١) شنَّت الولايات المتحدة الحرب على العراق فعلاً، أثناء ترجمة هذا الكتاب من الإنكليزية؛ وذلك في فجر الخميس في ٢٠ مارس (آذار) ٢٠٠٣. (المترجم).

صعبة لأن ما من أحد يريد الحرب. والواقع أن غالبية الناس يكرهون الحرب.

ومن المشكلات، وجود الدبابات الإسرائيلية في رام الله. تذكروا أنه عندما تقرؤون «دبابات وطائرات إسرائيلية» لابد من ترجمة ذلك إلى «دبابات وطائرات أمريكية» التي ترسلها الولايات المتحدة مع التأكد التام بأنها سوف تستخدم للغاية التي تنفذها حالياً. ويقود الطائرات هذه طيارون إسرائيليون، ولكننا نحن الذين نموّل الجزء الأعظم من صناعة الدبابات، ونموّل صناعة طائرات الهيليكوبتر كلّياً.

فهذه إذن قوات أمريكية، من ناحية عملية؛ فإسرائيل قاعدة عسكرية متقدمة للولايات المتحدة خارج بلادها. والأعمال التي تقوم بها إسرائيل هي الأعمال التي تخولها بها الولايات المتحدة أو تشجعها. وإذا ما خطت إسرائيل سنتيمتراً واحداً أكثر مما تريد الولايات المتحدة، يصدر صوت هادئ عن واشنطن يقول: «ذلك يكفي». فيتراجع حكام إسرائيل. لقد شهدنا ذلك ثانية قبل يومين عندما جاء ذلك الصوت الناعم من واشنطن يقول: اسحبوا الدبابات والقوات المسلحة من المدن الفلسطينية لأن الولايات المتحدة تستجمع قواها لمهمة ديك تشيني (Dick Cheney). فانسحبت القوات الإسرائيلية على الفور. فهذه هي الطريقة التي تجدي في المافيات. فإذا ما أصدر الزعيم أوامره، فإن تابعه لا يستطيع المراوغة.

حدث ذلك مراراً وتكراراً. ولهذا عندما يتحدث الناس عن أعمال وحشية إسرائيلية أو تركية، حري بهم أن يتحدث الناس عن وحشية أمريكية، لأنها هي مصدر هذه الأعمال. كذلك الأمر في كولومبيا.

وهكذا فإن التحول فيما يتعلق بفلسطين هو أن الولايات المتحدة طلبت من إسرائيل أن تنهي أسوأ الأعمال الوحشية خلال زيارة تشيني، لأن هذه الأعمال تفسد مهمته. وكان إقرار الولايات المتحدة لقرار صدر عن مجلس الأمن ضد إسرائيل لأول مرة خلال خمسة وعشرين عاماً، أمراً مثيراً. ومع ذلك لم ينتبه أحد لمضمون هذا القرار.

يقول القرار: إن لدى العالم الآن تصور حول وجود دولتين في المنطقة، إسرائيل، ودويلة فلسطينية، ربما تكون بعيداً هناك في السعودية، في أي مكان من الصحراء، وهذا تصور للمستقبل. وما يعنيه ذلك هو أن القرار لم يصل حتى إلى مستوى جنوب إفريقية وهي في أسوأ عهودها العنصرية.

كان لدى جنوب إفريقية في أحلك عهودها العنصرية، قبل أربعين عاماً، «تصور» لدويلات سوداء؛ وأقامت مثل هذه الدويلات، في الواقع، وصبت عليها بعض الموارد، لأنها كانت تؤمل أن تتطور بما يكفي لاعتراف العالم بها. كانت تلك أسوأ فترات التميز العنصري، في مطلع ستينات القرن العشرين. والرؤية التي تطرحها الولايات المتحدة الآن بشأن الفلسطينيين لا ترقى أبداً حتى إلى ذلك المستوى. ولهذا كان من

المفروض أن يثيرنا الأمر، لكننا تعودنا أن نهلل لقادتنا مهما عملوا. ومرَّة أخرى يعد ذلك جزءاً من تربية صالحة.

ولكن ما الذي ما زالت الولايات المتحدة تفعله؟ الواقع أنها ما زالت تنسف التسوية الدبلوماسية. إذ ما زالت تحتفظ لنفسها بالدور الانفرادي في هذه التسوية، وما زال الأمر كذلك منذ خمسة وعشرين عاماً فما زال رئيس تلو رئيس ينفرد بسد الطريق على الإجماع الدولي الواسع حول تسوية سياسية تشمل الجميع، وما برحت الولايات المتحدة مستمرة في سد الطريق حتى اليوم. فضلاً عن أن حكومة الولايات المتحدة ما فتئت ترفض السماح حتى بالإجراءات الأولية لتخفيض مستوى العنف.

س: هذا السؤال من اتحاد الطلبة الأفغان. ما أهداف الولايات المتحدة في أفغانستان فيما يتعلق باختيار الحكومة الجديدة والحفاظ عليها؟

تشومسكي: مَثل هذا السؤال كمثل بقية الأسئلة المطروحة حول ما ستفعله الولايات المتحدة، وهو أمر نحن نقرره. الحكومة الجديدة، كما يعلم اتحاد الطلبة الأفغان بالتأكيد، قد تم اختيارها من قِبل الولايات المتحدة. ربما يكون الاختيار جيداً، وربما لا يكون. بيد أن حميد قرضاي (Hamid Karzai) كان مرشح أمريكا للرئاسة، فرض في واقع الأمر، على الجميع سواء رغبوا في ذلك أم لم يرغبوا.

برأيي، يجب أن تقوم الولايات المتحدة وروسيا بدور

أكبر: إذ ينبغي ألا تقدما معونة إلى أفغانستان، بل تعويضات لترميم ما دمرتاه فيها. فهما الدولتان اللتان دمرتا أفغانستان في العشرين سنة المنصرمة، عاثتا فيها فساداً وتخريباً. وعندما يفعل المرء ذلك، عليه أن يدفع تعويضات، ولا يُعد ما يدفعه مساعدات، كما لابد من محاكمة المسؤولين عن جرائمهم التي ارتكبوها في تلك البلاد. وهذا هو الذي ينبغي القيام به هناك. ولكن لن يتحدث ذلك، بالطبع. وكل ما نستطيع التطلع إليه هو أن يفعلوا شيئاً لإصلاح ما جنت أيديهم من خراب وتدمير.

ولسوء الحظ، سيفعلون ذلك لأسبابهم الخبيثة؛ ما لم نمارس ضغطاً على حكومة الولايات المتحدة، فلن يحدث ما فيه أمل قط. هنالك قطاعات في الولايات المتحدة تعتقد أنه ينبغي ألا تفعل الولايات المتحدة ذلك. فمثلاً، نجد أن موقف محرري صحيفة نيوريبابليك (New Republic) التي تعد من الصحف الليبرالية الأمريكية الرائدة، يتمثل ببساطة في ضرورة سحق أفغانستان وجعلها أثراً بعد عين، وبعد ذلك لابد من التغلب على «هاجسنا في بناء الأمة». (٥ نوفمبر ٢٠٠١).

وما إن ينتفي كون أفغانستان مشكلة لنا، سنتركها حطاماً ونذهب إلى مكان آخر. ذلك هو أحد أصوات المفكرين الليبراليين. بيد أن هناك آخرين لم يرقوا إلى ذلك المستوى، ويعتقدون أنه لابد من عمل شيء. ولكن ما الذي ستفعله

الولايات المتحدة؟ ذلك يعتمد، برغم كل تلك الأسئلة، على الضغط الذي يتولد من الداخل. ليس هناك ما هو محفور لا يتغير. بل يعتمد كل شيء على ما يفعله الشعب.

س: أستاذ زائر من هنغاريا (Hungary) يسأل: ألا تبسط الأمور كثيراً عندما تصور الولايات المتحدة، وكأنها إمبراطورية شرّ؟

تشومسكي: هل أُبَسِّط جميع الأمور بالقول: إن الولايات المتحدة تتصرف في كل مكان كإمبراطورية شريرة؟ نعم، ذلك تبسيط مبالغ فيه. ولهذا أشرت إلى أن الولايات المتحدة تتصرف كبقية القوى الأخرى. ومن الصدف أن الولايات المتحدة هي الدولة الأقوى، ولهذا فهي، كما تتوقعون، أكثر عنفاً. ولكن غيرها لا يختلف عنها. فعندما كان البريطانيون يديرون العالم كانوا يفعلون الشيء نفسه.

ولنأخذ الأكراد مثالاً. ماذا كانت تفعل بريطانيا بشأن الأكراد؟ إليكم درساً صغيراً في التاريخ لا يعلمونه في مدارس إنكلترا، ولكننا عرفناه من خلال الوثائق المفرج عنها. كانت بريطانيا القوة المهيمنة عالمياً، ولكنها ضعفت بسبب الحرب العالمية الأولى.

وبعد الحرب، نجد لدى اطلاعنا على الوثائق السرية أن البريطانيين كانوا يدرسون كيف يستمرون في إدارة آسيا بعد أن فقدوا القدرة العسكرية للاحتلال الفعلي.

طرح اقتراح بضرورة التحوُّل إلى القوة الجوية. إذ أخذت القوة الجوية بالظهور والتقدم في نهاية الحرب العالمية الأولى. فكانت فكرة استخدام القوة الجوية بمهاجمة المدنيين. وكان تقديرهم أن ذلك المنهج سيخفض تكاليف سحق البرابرة المتوحشين. أما ونستون تشرشل (Winston Churchill) الذي كان وزيراً للمستعمرات في ذلك الحين فقد رأى أن ذلك لا يكفي. وتلقى طلباً من مكتب القوى الجوية الملكية في القاهرة للسماح لها، وهنا أقتبس ما جاء في الطلب، «باستخدام الغاز السام ضد العرب المشاكسين».

إن العرب المشاكسين الذين كانوا يتحدثون عنهم صدف أنهم أكراد وأفغان، وليسوا عرباً. ولكنكم تعلمون أن أي شخص تريد قتله هو عربي من منطلق عنصري. فكان السؤال، هل ينبغي استخدام الغاز السام؟ وعليكم أن تتذكروا أن تلك كانت الحرب العالمية الأولى. وكان الغاز السام قمة الأعمال الوحشية حينذاك وأسوأ ما يمكن تصوره.

وُزِّعت هذه الوثيقة في الإمبراطورية البريطانية. قاوم مكتب الهند تلك الفكرة قائلاً: إن استخدام الغاز السام ضد الأكراد والأفغان سيسبب لنا إشكالات في الهند، حيث لدينا مشاكل كثيرة. إذ ربما يهب الشعب ضدنا ويشوط غضباً، وما إلى ذلك. لا يهم الأمر من هم في لندن، ولكنه يهم الناس في الهند بالطبع. فغضب تشرشل لهذه المعارضة، وقال:

«لا أفهم هذه الحساسية المفرطة لاستخدام الغاز.. إنني

أفضل بقوة استخدام الغاز السام ضد القبائل غير المتمدنة.. ليس من الضروري استخدام الغازات الأشد فتكاً؛ إذ يمكن للغازات المستخدمة أن تحدث انزعاجاً كبيراً وتنشر الرعب دون أن تخلِّف آثاراً دائمة فيمن تصيبهم.. لا يمكننا في أي ظرف أن نذعن إلى عدم الإفادة من أية أسلحة متوافرة لوضع حد للفوضى التي تسود الحدود بأسرع ما يمكن. ذلك سوف ينقذ حياة البريطانيين. ولسوف نستخدم كل ما يسمح لنا به العلم».

إذن، هذه هي الطريقة التي يعامل بها الأكراد والأفغان عندما تكون بريطانيا. فماذا جرى بعد ذلك؟ لا نعلم بالضبط، حقاً. وسبب عدم معرفتنا بدقة هو أن الحكومة البريطانية أنشأت قبل عشر سنين ما أسمته «سياسة حكومية مفتوحة» لجعل عمليات الحكومة أكثر شفافية، كما تعلمون، للتحرك نحو الديمقراطية، بحيث يستطيع الشعب معرفة ما تفعله حكومتهم.

وأول عمل قامت به السياسة الحكومية المفتوحة إزالة جميع الوثائق المتعلقة باستخدام الغاز السام والقوة الجوية ضد العرب المشاكسين الذين هم في الحقيقة أكراد وأفغان، من ديوان السجلات العامة وربما تدميرها. وهكذا نستطيع أن نكون سعداء ألا نعرف أبداً ما أسفر عنه التمرين التشرشلي الصغير.

نجح البريطانيون. عُقدت معاهدات نزع سلاح عديدة في ذلك الوقت. إذ بُذلت جهود بعد نهاية الحرب العالمية الأولى

لتقليص الحرب. بيد أن البريطانيين نجحوا في نسف جميع المحاولات لمنع استخدام القوة الجوية ضد المدنيين. وقد أبدى كبار رجال الدولة سروراً بالغاً بما جرى. ومرَّة أخرى، مَجَّد رجلُ الدولة الشهير لويد جورج (Lioyed George) وامتدح الحكومة كما تذكر السجلات الداخلية، وكرمها لإحباط أية محاولة لمنع استخدام القوة الجوية في العام ١٩٣٢. قال: «صممنا على احتفاظنا بحق قصف الزنوج»[١]، نعم ذلك صحيح. هذه هي بريطانيا، الديمقراطية الكبرى الأخرى.

وإذا ما استعرضنا بقية البلدان لوجدنا الشيء نفسه. ربما يكون وصف الولايات المتحدة بإمبراطورية الشر خطأً. ليس في الأمر سوى أنها هي القوة الأعظم في العالم منذ ١٩٤٥.

لم تكن طريفة جداً في المناطق التي في متناول يدها، حتى قبل ذلك الزمن. وأخيراً، لابد من سبب جعلنا نتحدث هنا في كاليفورنيا؟ كان يقيم هنا أناس كثيرون، ليسوا هنا الآن. وأنتم تعلمون سبب عدم وجودهم هنا، وليس بالطبع أنهم مُنحوا حلويات. كما تعلمون لماذا حدود الولايات المتحدة مع المكسيك حيث هي الآن. كانت الولايات المتحدة قد احتلت نصف المكسيك، وتعلمون لماذا قتل مئتا ألف فيليبيني قبل قرن من الزمان عندما نَصَّرنا الفيليبينيين وحَضَّرناهم. لا أريد أن أخوض فيما كان يحدث في الكاريبي (Caribbean).

وهكذا، حتى قبل أن تصبح الولايات المتحدة أعظم قوة

(١) يقصد بكلمة الزنوج احتقار من يصمم على قصفهم. (المترجم).

في العالم، كان سجلها كسجل القوى الأخرى. ويمكننا أن نتحدث عن البلجيكيين والألمان والفرنسيين. فالفرنسيون التزموا، كما قال وزير الحرب، بإبادة سكان الجزائر الأصليين. ذلك هو جزء من مهمة التنصير والتحضير التي كانوا يحملونها. وهكذا تسير الأمور.

ولهذا، أقول: نعم من الخطأ تسمية الولايات المتحدة بإمبراطورية الشر، وهو وصف لم أستخدمه قط.

س: كيف ترى تدخل الولايات المتحدة في يوغسلافيا السابقة؟ هل كان شكلاً آخر من أشكال الإمبريالية، أم أنه تدخل إنساني ومُسوَّغ؟

تشومسكي: إنها قصة طويلة. لقد تغيرت السياسة الأمريكية في المكان كله. إذ كانت في البداية من أشد الناس دعماً ليوغسلافيا موحدة. واستمرت سياستها هذه عشر سنين. عندما انسحبت سلوفينيا (Slovenia) وكرواتيا (Croatia) من الفيدرالية اليوغسلافية في العام ١٩٩١ سارعت ألمانية للاعتراف بذلك، تأكيداً لمصالحها الخاصة في المنطقة. وتم الاعتراف بطريقة أُهملت بموجبها حقوق الأقلية الصربية، الأمر الذي آذن بكارثة. أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد عارضت هذا الانفصال في البداية.

وأخيراً، قررت الولايات المتحدة، ضمن اللعبات المتنوعة التي تلعبها القوى الكبرى، أن تجعل البوسنة حصتها في لعبة الشطرنج هذه. فعطلت تسوية سلمية كان يمكن أن تتحقق،

وهي خطة فانس - أوين (Vance - Owen) والتي وضعها وزير خارجية أمريكا السابق سايروس فانس، وديفيد أوين من بريطانيا. تنطوي الخطة على إشكالات كثيرة، ولكن نظرة إلى هذه الخطة تكشف أنها لا تختلف عن الطريقة التي تنتهي بها الأمور بعد سنوات من المذابح.

ضغطت الولايات المتحدة على حكومة البوسنة، التي أصبحت حجر أمريكا في الشطرنج، لرفض الخطة. فأدى ذلك الرفض إلى أعمال وحشية كبيرة في السنتين التاليتين. وأخيراً دخلت الولايات المتحدة - وأنتم تعرفون بقية الحكاية - وفرضت اتفاق دايتون (Dayton) في العام ١٩٩٥. ولا أدري كيف تصفون مثل هذه التصرفات بأنها إنسانية. من الممكن تحديد ما إذا كان تحرك ما صواباً أم خطأً. بيد أن العناصر الإنسانية معدومة نهائياً، وفيما يتعلق بكوسوفو (Kossovo) فالأمر أسوأ. لدينا سجل حافل. ولدينا أدبيات ضخمة حول قصف كوسوفو.

هنالك بعض معالم هذا القصف. كان الحماس متوقداً لإيجاد «مرحلة جديدة في التاريخ الإنساني»، مرحلة من «التدخل الإنساني»، وهكذا.. هذا هو أحد المعالم، مديح الذات. أما المَعْلَمُ الثاني فهو تجاهل سجل الوثائق الحافل تجاهلاً خطيراً، ذلك السجل الذي يشمل وثائق من وزارة الخارجية، والناتو، والأوربيين، ومنظمة الأمن والتعاون في أوربة، ومراقبي مهمة التحقيق الكوسوفية، والأمم المتحدة،

والحكومات المتورطة في القضية. هناك سجل حافل بوثائقهم ووثائق الغرب المتعلقة بما كان يجري في المنطقة.

تجاهلت الأدبيات ذات الصلة بالقضية هذه الوثائق تجاهلاً تاماً. فلنلق نظرة. فبقدر ما أعلم لم يأت على ذكر هذه الوثائق ومراجعتها سوى كتابي (الإنسانية العسكرية الجديدة) (New Military Humanism)، وبتفصيل أكثر في كتابي (جيل جديد يرسم الخط) (A New Generation Draws the Line). تعرض كتاباي هذان إلى ذلك السجل الحافل جداً. وإليكم ما جاء في السجل. يقول السجل: «ما من شك أن المكان كان قميئاً. ليس كتركية، ولكنه قبيح على أية حال. وأكثر صقور التحالف الغربي تشدداً كانت بريطانيا، التي كانت متلهفة للسير قدماً والاستمرار بالتدخل».

وبحلول العام ١٩٩٩، أي قبل شهرين من بدء القصف، نسبت الحكومة البريطانية، الأعمال الوحشية إلى جيش تحرير كوسوفو (KLA) من الفدائيين، فوصفتهم، كما جاء في وثائق الناتو، بأنهم يعبرون الحدود للقيام بأعمال وحشية ضد الصرب من أجل دفعهم إلى رد فعل غير ملائم، من أجل استخدام ذلك الرد لتحريض الغرب على تأييد كوسوفو. ذلك هو موقف الحكومة البريطانية.

صدف أن تجلّى ذلك الموقف أثناء حدوث مذبحة راكاك (Racak) التي أدت إلى تحويل موقف الغرب، بموجب العقيدة. كان البريطانيون ما زالوا يلصقون أبْشَع الأعمال

الوحشية بجيش تحرير كوسوفو الذي تصفه كما تصفه الولايات المتحدة بأنه قوة إرهابية. وتعلم من السجل أن شيئاً لم يتغير خلال الشهرين التاليين. وذلك واضح في سجل وزارة الخارجية الأمريكية وسواها، ظلت الأمور تسير كما هي عليه إلى أن سُحب المراقبون تمهيداً لبدء القصف.

تصاعدت الأعمال الوحشية بعد بدء القصف. ولو ألقينا نظرة على المحاكمة الجارية الآن في هيغ (Hague) للاحظنا أن الأعمال الوحشية التي ينظر فيها في المحكمة كلها وقعت بعد القصف. فما إن بدأ القصف وظهر أن هناك تهديداً بالغزو، حتى بدأت الانفجارات والأعمال الوحشية وما شابه ذلك. ولم تكن هناك أعمال كهذه قبل القصف. أما الحديث عن إعادة اللاجئين إلى بيوتهم بوصفه إنجازاً كبيراً فإنه يتجاهل واقعة أن هؤلاء اللاجئين طردوا من بيوتهم أثناء فترة القصف. ومهما جرى الحديث عن إعادتهم، فمن الصعب أن يُعَدَّ ذلك عملاً إنسانياً.

س: بدأت المصادر الإخبارية الرئيسة مثل CNN وسان فرانسيسكو كرونكل (San Francisco Chronicle) وسواهما، تبحث في الأشهر الأخيرة الاضطهاد الذي تمارسه إسرائيل، وإبادة الجنس البشري في العراق بسبب العقوبات المفروضة عليه. فهل ترى أن كتابك ١١/٩ قد أحدث شرخاً في وسائل الإعلام؟

تشومسكي: لا أشاهد CNN؛ لذلك لا أستطيع الإجابة.

بيد أني خضعت لها لمدة شهر في نوفمبر من العام ٢٠٠١ عندما كنت وزوجتي في الهند، حيث من الصعب الحصول على صحف دولية. فكان علينا أن نشاهد CNN، وأن نتحمل عذاب مشاهدتها كل ليلة. ولكني لم ألحظ ما تصفه. وبما أنني لا أشاهدها عادة، لذلك لا أستطيع إجابتك. تبدو لي هراءً وطنياً. كما لم ألحظ تغيراً من خلال ما قرأت من صحافة مطبوعة. ولا ألحظ بحثاً في الصحافة حول أثر العقوبات أو أثر السياسة الإسرائيلية إلا عندما يكون لذلك علاقة بما تفعله الولايات المتحدة.

لذلك اعترضت الولايات المتحدة على سلوك إسرائيل عندما كان ذلك يتعارض مع مهمة تشيني. في حين تصاعدت الأعمال الوحشية بدعم من الولايات المتحدة. إذ تابعت الولايات المتحدة دعمها العسكري والسياسي لإسرائيل. وتابعت تعطيلها لتسوية دبلوماسية، كما كان الحال في عهد كلينتون. ولقد ذكرت لكم قرارات الأمم المتحدة. وهناك حالات أسوأ.

دعوني أذكر لكم حالة أخرى. وُضعَ ميثاق جنيف، كما تعلمون، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة من أجل تجريم الأعمال الوحشية التي قام بها النازيون. تلك هي مواثيق جنيف التي تعاهد عليها فرقاء كبار بمن فيهم الولايات المتحدة والتزموا بمعاهدات جادة لفرض مواثيق جنيف. وتلك هي مسؤوليتهم.

أما عدم فرض الولايات المتحدة هذه المواثيق، فيعد ذلك

جريمة بحد ذاته. تنطبق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضي الواقعة تحت احتلال عسكري. فهل طبقت على الأراضي التي تحتلها إسرائيل؟ هنا يكمن الشرخ في العالم. إذ يقول العالم كله: لا، وإسرائيل تقول: لا. وتمتنع الولايات المتحدة عن التصويت منذ عهد كلينتون. وكانت قبل ذلك تتبنى الموقف العالمي الإجماعي. إنّها تمتنع عن التصويت، لأنها لا تريد أن تقف ضد مبدأ القانون الدولي، خصوصاً بأخذ الظرف الذي سُنَّ فيه القانون بعين الاعتبار، أعني لتجريم أعمال النازيين. لهذا تمتنع الولايات المتحدة، وامتناعها يقتل القرار، لأن ذلك يعني أن وسائل الإعلام لن تتداوله كما ينبغي، وبالتالي يسقط من التاريخ، ومع ذلك فهو موجود.

في آكتوبر من العام ٢٠٠٠، على سبيل المثال، بعد انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية الثانية أقرَّ مجلس الأمن للمرَّة الثانية أن اتفاقات جنيف تنطبق على الأراضي التي تحتلها إسرائيل. وكان التصويت ٠-١٤ والعضو الخامس عشر، الولايات المتحدة، امتنعت عن التصويت. وهذا يجعل اتفاقات جنيف قانوناً دولياً مألوفاً. وتغدو هذه الاتفاقات غير شرعية عندما يتعلق الأمر بما تفعله الولايات المتحدة، وما تقوم به إسرائيل من أعمال وحشية في الأراضي المحتلة. كل أفعالها، مثل إقامة المستعمرات (المستوطنات)، ووجودها العسكري، غير شرعية. تلك هي السياسة الفعلية. أما التحول الذي يظن الناس أنهم يرونه فليس إلا وهماً، في رأيي. هذه هي السياسة الفعلية ولسوف تستمر إلى أن تتغير.

س: كيف ولماذا، برأيك، صورت وسائل الإعلام المسلمين بالطريقة التي صورتهم بها بعد هجمة الحادي عشر من سبتمبر (أيلول).

تشومسكي: الواقع أن وسائل الإعلام صورتهم أفضل مما كنت أتوقع. إذ كانت هناك محاولات جادة ومخلصة إلى حد كبير للتفريق بين الأعمال الوحشية والمسلمين عموماً. على المرء أن يضع ثقته حيث ينبغي. لم تصم وسائل الإعلام المسلمين بما ينبغي وصمهم به. هناك قدر كبير من العنصرية المناهضة للعرب وللمسلمين في الولايات المتحدة. إنها شكل من أشكال العنصرية الشرعية الأخيرة، وأقول الشرعية بمعنى التي لا يمكن إنكار وجودها.

ومع ذلك لا أظن أن هذه النزعة قد زادت بعد الحادي عشر من سبتمبر. والواقع، بذلت جهود من أجل تخفيفها.

س: وصف الرئيس بوش مؤخراً إيران بأنها إحدى دول «محور الشر»؛ وهددها باستخدام القوة العسكرية. فما مدى واقعية الهجوم على إيران؟

تشومسكي: إن عبارة «محور الشر» التي ابتكرها الذين يكتبون الخطابات لبوش تعد «شراً»، بحد ذاتها، لأنه من الواضح أنك إذا أردت تخويف الناس فإنك تحدثهم عن الشر.

أما كلمة «محور» فتذكرنا بالنازيين. إنه ليس محوراً، في واقع الأمر، أبداً. إذ كان العراق وإيران في حالة حرب طوال

عشرين سنة. أما كورية الشمالية فعلاقتها بأي من هاتين الدولتين أقل من علاقة فرنسا بهما.

ولهذا لا يمكن أن يكون ذلك محوراً. زُجَّ بكورية الشمالية لمجرد أنها هدف سهل، ولأنها غير مسلمة، وذلك بهدف إبعاد الشبهة عن مناهضة الولايات المتحدة للمسلمين وملاحقتها لهم. ولهذا نضع كورية الشمالية جانباً.

فما شأن إيران؟ لنلق نظرة على التاريخ. كانت إيران أحياناً «شراً» وكانت أحياناً أخرى «خيراً» خلال السنوات الخمسين المنصرمة. ولدى تتبع المسار تستطيع الإجابة عن سؤالك. في العام ١٩٥٣ كانت إيران «شرّاً»، صورة مصغرة عن الشر. لماذا؟ لأن حكومتها حينذاك كانت حكومة قومية محافظة منتجة تحاول السيطرة على موارد بلادها، التي كان يسيطر عليها البريطانيون حتى ذلك الوقت. ولهذا فهي صورة عن الشر. إذن لابد من الإطاحة بالحكومة عن طريق انقلاب عسكري نفذته الولايات المتحدة، وبريطانيا. وأعيد الشاه إلى السلطة.

وبعد ذلك، خلال السنوات الستين التالية، كانت إيران «خيراً». جمع الشاه أسوأ سجل في حقوق الإنسان. فهو يحتل المرتبة الأعلى في تقارير منظمة العفو الدولية، ولكنه كان يخدم مصالح الولايات المتحدة. استولى على جزر تابعة للسعودية، وساعد أمريكا على تحكمها في المنطقة، ودعمها في كل ما فعلته. وبالتالي فهو «خيّر». ولهذا لا تجد في ذلك الوقت في الصحف أيَّ تعليق على جرائم إيرانية. والرئيس كارتر امتدح

الشاه، بصورة خاصة، في حين أنه كان قد أطيح به قبل شهرين فقط، قائلاً: «إنني متأثر جداً بإدارة الشاه التقدمية» وهكذا.

في العام ١٩٧٩ عادت إيران شريرة مرّة أخرى، إذ انسحبت من النظام الإمبريالي، ومنذ ذلك الحين وهي تعد «شرّاً»، لأنهم لم يعودوا يتبعون الأوامر. إنه لموقف ممتع حقّاً. وإليكم هذه الحالة: اللوبي القوي فعلاً، لوبي النفط في الولايات المتحدة - شركات الطاقة - تريد إعادة دمج إيران في النظام العالمي، ولكن حكومة الولايات المتحدة لا تسمح بذلك. إنها تريد إيران عدوّاً.

من الأمور التي قام بها مشروع «محور الشر» هذا، هي نسف عناصر الإصلاح في إيران الذين تدعمهم غالبية الشعب، وإعطاء جرعة منشطة لأكثر العناصر الدينية رجعية. لا بأس، ولكن لنسأل، لماذا؟

أظن - وهذا مجرد تخمين إذ ليس لدي وثائق - أن السبب سببٌ عادي. ويعرف بـ «توطيد المصداقية». أي زعيم مافيا يستطيع أن يشرح لك ذلك. إذا ما خرج امرؤ عن الخط فلابد أن يعاقب. وعلى الباقين أن يفهموا أن ذلك ليس سلوكاً تسامحياً. ذلك هو السبب الرئيسي الرسمي لقصف صربيا وكوسوفو، ألا وهو «توطيد مصداقية الناتو»؛ لا تخرج عن الخط، واتبع الأوامر، وإلا.

أظن أن هذا الواقع الرئيسي للسياسة الحالية. أعتقد أن

الولايات المتحدة لن تهاجم إيران الآن. إذ سيكون الهجوم خطيراً ومكلفاً، ولكن إذا ما تسلمت العناصر الدينية الأكثر رجعية السلطة، فإن ذلك يجعل إيران أكثر بعداً عن الاندماج في النظام الدولي.

ربما يُشَنُّ هجوم على العراق[١]، وهو أمر شائك ويحتاج تخطيطه إلى دقة فائقة. ولا علاقة لأسباب غزو العراق، والتي تعرفونها تماماً، بالبيانات الرسمية. لا يشكل ذلك قضية، بل هو خدمة أخرى تسديها الطبقات المثقفة التي تفلح في إبقاء الأمر هادئاً. كلهم يعرفون، بالطبع.

عندما تقرأ ما يقوله جورج بوش، أو توني بلير، أو بيل كلينتون، أو ما يقولون جميعهم، فإنك ستجدهم يقولون: «سنلاحق صدام حسين، هذا الوحش الشرير الذي استخدم الأسلحة الكيماوية حتى ضد شعبه. فكيف نسمح لواحد مثله أن يظل حيّاً؟».

صحيح أنه استخدم الأسلحة الكيماوية ضد شعبه، ولكن هناك عبارة محذوفة من أقوالهم، هي: «بمساعدة بابا بوش ودعمه»، الذي كان يؤمن بعدالة ذلك. واستمر بدعم ذلك الوحش، وكذلك فعلت بريطانيا. وتابعت الدولتان بعد تنفيذ الأعمال الوحشية التي نفذها صدام حسين بما في ذلك قصف

---

(١) لقد شنَّ هذا الهجوم فعلاً في ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م، وسقطت بغداد في أيدي القوات الأمريكية في ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م [الناشر].

الأكراد وغيرهم بالغاز، تقديم العون والدعم، بما في ذلك المساعدات التي مكنت صدام حسين من تطوير أسلحة دمار شامل، وهم يشعرون بالسعادة لما يفعلون.

كان صدام أكثر خطورة من اليوم، وكانت العراق أقوى مما هي عليه اليوم. ولم تفهم الأمور بصورة خاطئة. فالواقع أن الرئيس بوش الأول أوفد في مطلع العام ١٩٩٠ - قبل شهرين من غزو العراق - وفداً عالي المستوى من الشيوخ (Senatars) برئاسة بوب دول (Bob Dole)، الذي كان مرشح الجمهوريين للرئاسة فيما بعد، إلى العراق لإبلاغ صديقه الرئيس صدام تحياته. ولإبلاغه إعجابه بإسهامه الكبير، والطلب إليه غضّ النظر عن بعض التعليقات الناقدة التي يسمعها بين الحين والآخر من الصحافة الأمريكية.

لدينا هذا النوع من حرية الصحافة بحيث نادراً ما يخرج شخص عن الخط، وربما لم يأت سوى واحد بالألف من المراسلين على ذكر بعض الملاحظات حول الكيفية التي اقترف فيها صدام حسين الجرائم التي يتحدثون عنها، وكانت الإدارة الأمريكية تطلب منه أن ينسى ذلك. وقيل له: إن معلقاً ناقداً في صوت أمريكا سوف يعفى من عمله كيلا يعود يسمع شيئاً عن الأعمال السيئة التي يقوم بها. وكل ذلك كان يتم قبل أن أصبح صدام «وحش بغداد» الذي يهزم العالم، و.. و.. بشهرين فقط.

نحن نعلم أن جرائمه ليست هي السبب في غزو العراق. ولا تطويره لأسلحة دمار شامل.

إذا لم تكن هذه الأسباب، فما الأسباب إذن؟

الأسباب واضحة تماماً. لدى العراق ثاني أكبر مخزون نفطي في العالم بعد السعودية. من الواضح أن الولايات المتحدة، بطريقة أو بأخرى، سوف تستعيد السيطرة على ذلك المورد النفطي الضخم الأكبر بكثير مما هو موجود تحت بحر الخزر. وتحرم بالتأكيد خصومها من هذه الموارد. وبدأت الآن فرنسا وروسيا تسير على الطريق إلى هذه الموارد، لذلك أخذت الولايات المتحدة تتطلع إلى الاستيلاء عليها.

والسؤال هو: كيف؟ إنها عملية معقدة. فهناك إشكالات تقنية كثيرة مثل، كيف يتم ذلك! هذا هو ما يجري بحثه الآن. ومع ذلك هذه مشكلة صغيرة. ولكن المشكلة الحقيقية هي تنصيب نظام جديد يكون غير ديمقراطي بصورة كاملة.

ولهذا الشرط (لا ديمقراطية النظام الجديد) سبب هو أنه إذا ما كان النظام الجديد ديمقراطياً فإنه سيكون للشعب العراقي رأي فيما يجري. إذ ليس للشعب سوى صوت ضعيف. ولكن المشكلة هي أن غالبية الشعب من الشيعة، وهذا يعني أنه إذا كان لهذه الأكثرية رأي فإنها سوف تتجه إلى إقامة علاقات مع إيران، وهو أمر آخر لا تريده الحكومة الأمريكية. يمكننا الخوض في أسباب عدم رغبة أمريكا في هذا التقارب، ولكننا نكتفي بالقول: إنه من الواضح تماماً أن أمريكا لا تريد ذلك

أبداً. إضافة إلى أن الأكراد في شمال العراق والذين يشكلون جزءاً كبيراً من الشعب العراقي يطالبون بنوع من الحكم الذاتي لهم، وإن حدث ذلك فإن تركية تصاب بالجنون، والولايات المتحدة تصاب بالهيستيريا.

إذن لا بد من استبدال نظام مماثل لنظام صدام حسين بنظامه، نظام سني عسكري يحكم القبضة على الشعب. هذا واضح تماماً. إذ يمكننا أن نتذكر ما جرى في مارس من العام ١٩٩١ بعد الحرْب مباشرة عندما سيطرت الولايات المتحدة على المنطقة بكاملها. كان هناك تمرد شعبي كبير في الجنوب شمل تمرد جنرالات عراقيين.

لم يطلب المتمردون أية مساعدة من الولايات المتحدة، بل طلبوا السماح لهم بالحصول على الأسلحة العراقية التي تم الاستيلاء عليها. بيد أنه كان لبوش الأول رأي آخر. إذ خَوَّل صديقه صدام حسين باستخدام القوة الجوية، لسحق المقاومة الشيعية.

قال الجنرال نورمان شوارتزكوف (Norman Schwarzkopf) فيما بعد: إن بوش قد خُدعَ بالعراقيين، لأنه لم يدرك أن تخويلهم باستخدام الطيران العسكري سيؤدي إلى استخدام القوة الجوية فعلاً، ولهذا فقد خدع، وهذا يدل على مدى مكر صدام حسين المخيف. إنه يخدعنا دائماً، وهكذا استخدم الطيران لسحق الشيعة والأكراد في الشمال.

في ذلك الوقت تقريباً، كان توماس فريدمان (Thomas

Friedman) الذي كان مراسلاً سياسياً لصحيفة نيويورك تايمز - ومصطلح «مراسل سياسي» يعني الناطق باسم وزارة الخارجية في نيويورك تايمز، وكان يعطي الصحيفة الخط الذي تسلكه وزارة الخارجية - كان هذا المراسل السياسي صريحاً فيما يتعلق بهذا الأمر، قال: إن أفضل شيء للولايات المتحدة هو وجود «عصبة عسكرية حديدية القبضة» تحكم العراق بالطريقة ذاتها التي كان يحكم بموجبها صدام حسين، ولكن باسم جديد لأن اسم صدام حسين أصبح مربكاً لأمريكا. وإذا لم نستطع ذلك، فلابدَّ من البحث عن ثاني أفضل شيء، وهو ما يحاولون العثور عليه، ولهذا تقوم الـCLA ووزارة الخارجية بتنظيم لقاءات بين جنرالات أبعدوا في تسعينات القرن العشرين.

لن يكون ذلك سهلاً، ولكن هذا هو ما يجري تخطيطه الآن.

الجزء الرابع

مزيد من المعلومات

الجزء الرابع

مزيد من المعلومات

مزيد من القراءات

كتب مختارة من اعمال تشومسكي

١- ١١-٩ : سيفن ستوريز بريس (أوبن ميديا بوك) ٢٠٠١-٢٠٠٢م.

٢- أعمال العدوان: ضبط الدول الحمراء لنعيم تشومسكي، إدوارد دبليو. سعيد، سيفن ستوريز بريس [أوبن ميديا سيريز (Open Media Series)، ١٩٩٩م.

٣- القوة الأمريكية والبيروقراطية الجديدة لنعوم تشومسكي، هوارد زِن، (مقدمة) نيو بريس، ١٩٦٩، ٢٠٠٢م.

٤- ردع الديمقراطية، طبعة ثانية، هيل (Hill) ووانغ (Wang)، ١٩٩٢م.

٥- مثلث الموت: الولايات المتحدة، إسرائيل والفلسطينيين، ط٢، ساوث إندبريس (South End Press)، ١٩٩٩م.

٦- اللغة ومشكلات المعرفة، (Mit) بريس، ١٩٨٨م.

٧- سيطرة وسائل الإعلام: الإنجازات المثيرة للدعاية، ط٢، سيفن ستوريز بريس (أوبن ميديا سيريز)، ١٩٩١، ٢٠٠٢م.

٨- أوهام ضرورية: هيمنة الفكر في المجتمعات الديمقراطية، ساوث إند بريس، ١٩٨٩م.

٩- جيل جديد يرسم الخط: كوسوفو، تيمور الشرقية، ومعايير الغرب، فيرسو، ٢٠٠١م.

١٠- الإنسانية العسكرية الجديدة: دروس من كوسوفو، كومون كريج بريس (Common Curage Press)، ١٩٩٩م.

١١- قراصنة وأباطرة، قديماً وحديثاً: الإرهاب الدولي في عالم واقعي، ساوث إند بريس، ١٩٨٦، ٢٠٠٠م.

١٢- ربح على أكتاف الشعب: الليبرالية الجديدة والنظام العالمي، سيفن ستوريز بريس، ١٩٩٩م.

١٣- الدعاية والرأي العام: مقابلات أجراها ديفيد بارساميان (David Barsamian)، ساوث إند بريس، ٢٠٠١م.

١٤- الدول الحمراء: قانون القوة في الشؤون الدولية، ساوث إند بريس، ٢٠٠٠م.

١٥- مظلة القوة الأمريكية: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، تناقض السياسة الأمريكية، سيفن ستوريز بريس (أوبن ميديا سيريز)، ١٩٩٩م.

١٦- فهم القوة: تشومسكي الذي لاغنى عنه، تحرير بيتر ميتشيل (Peter Mitchel)، وجون شكوإيفيل (John Schoeffel)، نيوبريس (New Press)، ٢٠٠٢م.

١٧- السنة ٥٠١: يستمر الفتح، ساوث إند بريس، ١٩٩٣م.

حول الفيلم

القوة والإرهاب في أيامنا: نعوم تشومسكي

فيلم وثائقي لجون جنكر مان (John Junkerman) / ٣٥ مم/ ٧٤ دقيقة، إنتاج سيغلو (Siglo) ٢٠٠٢.

وُزِّع في أمريكا الشمالية من قِبَل فيرست نيو فيتشرز (First New Features)، نيويورك.

ما من أحد إلا ويتوق لوقف الإرهاب. حسناً، هناك وسيلة سهلة حقاً، هي: «كُفُّوا عن المشاركة فيه».

المنتج: ياما غامي تيشوجيرو (Yamagami Tetsujiro).

تصوير: أوتسو كوشيرو (Otsu Kashiro).

الصوت: تسوروماكي يوتاكا (Tsurumaki Yutaka).

تحرير: جون جنكرمان (John Junkerman)، هاتا تاكيشي (Hata Takeshi).

منتج مساعد: أوغاوا مايو (Ogawa Mayu).

كاميرا إضافية: أزوما تونيو (Azuma Tuuneo)، سكوت كروفورد (Scott Crawford)، جون جنكر مان (John Junkerman).

الصوت الخارجي: ستيف بورز (Steve Bores)، تامي

دوغلاس (Tammy Douglas)، هيراوكا جون (Hirawka Jun)، أوغاوا مايو.

AP كاثلين أوكونيل (Cathleen O'Connellخارجاً : Ap

مفسر: كريستوفر فيلد (Christopher Field).

ترجمة: ماتسوموتو كاورو (Matsumoto Kaoru)، جون جنكرمان.

تصوير ثابت: ثيو بيليتير (Theo Pelletier).

تصميم حي: مياغاوا ثاكاشي.

منسق الإنتاج: فاليري دايفير (Valerie Dhiver).

رئيس شعبة الإنتاج: إيشيدا يوكو (Ishida Yuko).

مدير الإنتاج: ساساكي ماساكي (Sasaki Masaaki).

ستوديو الصوت: يورتا (Yurta).

عناوين: ميشيكاوا برودكشن (Michikawa Produekion).

مخابر: مختبر سكان أل. تي. سي (L.T.C., Scanlab)، (فرنسا).

الموسيقا : إماوانو كيوشيرو (Imawano Kiyoshiro).

«جيبتيسومي (Gibitsumi) لإيماوانو كيوشيرو (Imawano Kiyoshiro).

«عمل مسرحي مثير للضحك، من رينبو كافي (Rainbow Cafe).

«كوراسو» (kurasu) لإيماوانو كيوشيرو، رافي تفي (Ruffy Tuffy) من كروس أوف فول (Cross of Fall).

«حرارة دموع مترعة» لإيماوانو كيوشيرو / RC سكشيشن، من بيبي أغو غو (Baby Ago Go).

المساعدة في الإنتاج: تسورومي شوشوكي (Tsurumi Shuosuki)، ليتل مور (Little More)، بيبيز (Babys)، تيلسيس انترناشيونال (Telesis International)، جابان هيرالد (Japan Herald)، أنتوني أرنوف (Anthony Arnove)، توي كاكو (Toei Kako)، نيبون سيني آرتس (Nippon Cine Arts)، مبليوري ستوديو (Mulberry Stoudio)، تاتارا يوكو (Tatara Yoko)، شيباتا أتسوكو (Shibata Atsuko)، ياموتو كيومي (Yamoto Kiyomi).

شكراً لبيف ستول (Bev Stohl)، وليندا هوغلاند (Linda Hoogland)، وليه ماهان (Leah Mahan)، جنين سلمان (Genene Salman)، وطلاب العدالة في فلسطين وبربارة لوبن (Barbara Luhin)، وبني روسنواسر (Penny Rosen Wasser)، وتحالف أطفال الشرق الأوسط، وإياتسي (Iatsi)، وبول جورج (Paul Gearge)، ومركز شبه الجزيرة للسلام والعدل، وعمر عنتر (Omar Antar)، و (Aecom)، وجمعية الطلاب المسلمين، وواسا بشارة (Wasa Bishara)، واللجنة من أجل عزمي بشارة، والأقليات في إسرائيل.

وشكر خاص لنعوم تشومسكي وكارول تشومسكي.

ملخص

يعرض كتاب «القوة والإرهاب» أحدث أفكار تشومسكي من خلال مقابلات مطوَّلة وسلسلة من الأحاديث العامة التي ألقاها في نيويورك وكاليفورنيا في ربيع العام ٢٠٠٢. وكما فعل مرات لاتحصى منذ ٩/١١، فهو يضع الآن الهجمات الإرهابية في سياق التدخل الأمريكي في البلاد الأجنبية، طوال العقود التي تلت الحرب في فيتنام، إفريقية الوسطى، الشرق الأوسط، وغيرها من مناطق العالم. وبدءاً من المبدأ الأساسي القائل بأن ممارسة العنف ضد المدنيين هو إرهاب، بغض النظر عما إذا كان من يمارسه عصابة منظمة من المسلمين المتطرفين أو أقوى دولة في العالم، يتحدى تشومسكي -بعبارات واضحة صريحة- الولايات المتحدة في أن تطبق المعايير الأخلاقية التي تطلبها من الآخرين على أعمالها هي. إن ما يظهره فيلم (القوة والإرهاب في أيامنا) هو صورة مثيرة ممتعة للمفكر النشيط الذي سَمَّاه بونو، رئيس فرقة U2 للغناء «متمرداً بلا توقف» .

ويُعَدُّ تشومسكي أحد أهم الأصوات المعارضة في الولايات المتحدة اليوم.

تعليقات الصحف

* «أحد أصوات العقل العظيمة في زماننا»، نيويورك، ديلي نيوز.

* «ومضة من صبر لاينفد، عاطفة رجل وانفتاحه وراء الكلمات»، فاييتي (Variety).

* «نص ضروري في مجال البحث والنقاش الواسع عن رد فعل أمريكا على الإرهاب، وبصورة أشمل، عن تاريخ دورها في العالم ومستقبله»، نيويورك تايمز.

* «لايخفي تشومسكي شيئاً في نقده الصّريح لسياسة الولايات المتحدة الخارجية، وفي دعمه لحكومتنا إذا التزمت بأكثر المعايير شدة». هوليود ريبورتر (Hollywood Reporter).

للحصول على معلومات بشأن مبيعات «القوة والإرهاب» على DVD أو فيديو منزلي يرجى الاتصال بـ:

First Run Features
153 Waverly Place
New York, Ny 10014
212 - 243 - 0600
WWW. Firstrun Features. com
E-mail: info@firstrunfeatures

وللاستخدام التعليمي، اتصل بـ:

First Run / Icarus Films
32 Court Street, 21 st floor
Bruo Klyn, NY 11201
800 - 876 - 1710
www.Firf.com
E-mail: mail@Frif.com

حول المؤلف

نعوم تشومسكي كاتب نشيط سياسياً ذو شهرة عالمية، أستاذ في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا.

ولد نعوم تشومسكي في السابع من ديسمبر (كانون أول) من العام ١٩٢٨ في فيلادلفيا، بنسلفانيا. قضى سنواته الجامعية وتخرجه في جامعة بنسلفانيا حيث حصل على درجة الدكتوراه في اللسانيات في العام ١٩٥٥. كان تشومسكي خلال الفترة من ١٩٥١ حتى ١٩٥٥ زميلاً أدنى مرتبة في جمعية جامعة هارفارد للزملاء. وأثناء كونه زميلاً أدنى مرتبة أكمل أطروحة الدكتوراه بعنوان «التحليل التحويلي». ظهرت آراؤه النظرية الكبرى التي تضمنتها الأطروحة في رسالة متخصصة بعنوان «البنية التركيبية» التي نشرت في العام ١٩٥٧. وشكلت هذه الرسالة جزءاً من عمل أكثر اتساعاً عنوانه «البنية المنطقية للنظرية اللغوية» وزّع منها نسخ مسحوبة في العام ١٩٥٥، ونشرت في كتاب في العام ١٩٧٥.

التحق تشومسكي بالهيئة التعليمية في معهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا في العام ١٩٥٥، ثم عُيّن أستاذاً كامل العضوية في قسم اللغات الحديثة واللسانيات (ويعرف اليوم بقسم اللسانيات والفلسفة) في العام ١٩٦١. وشغل كرسي الأستاذية للغات واللسانيات الحديثة في فيراري بي. وارد (Ferrari P. Ward). وفي العام ١٩٧٦ عُيِّن أستاذاً في المعهد.

كان تشومسكي مقيماً في المعهد في العامين ١٩٥٨ و١٩٥٩ لإتمام دراسة متقدمة في برينستون (Princeton)، نيوجيرسي (New Jersey). ألقى في ربيع العام ١٩٦٩ محاضرات لوك (Locke) في أكسفورد؛ وفي يناير ١٩٧٠، ألقى محاضرة في ذكرى بيرتراند راسل (Bertrand Russell) في جامعة كمبردج؛ وفي العام ١٩٧٢، ألقى محاضرة في ذكرى نهرو في نيودلهي؛ وفي العام ١٩٧٧، ألقى محاضرة هوزينكا (Huizinga) في ليدن (Leiden)، وغيرها. تلقى درجات شرف عديدة.

ألف تشومسكي كتباً عديدة، أحدثها كتاب «١١-٩» الذي طبع في ستة وعشرين بلداً.

حول المحررين

جون جنكرمان (John Junkerman): صاحب صناعة أفلام وثائقية مقرها طوكيو، اليابان، وهو كاتب ومحرر. ولد في ميلواوكي (Milwaukee) في العام ١٩٥٢. أخرج فيلم «القوة والإرهاب؛ نعوم تشومسكي في أيامنا». عمل جنكرمان أفلاماً عديدة عن اليابان بما في ذلك «نارجهنم (Hell Fire): رحلة من هيروشيما (Hiroshima)»، وفيلم «أومينشو (Uminchu). العجوز وبحر الصين الشرقية». وزعتهما شركة «فيرست رن / إيكاروس السينمائية (First Run / Icarus Films). كما أنتج وأخرج فيلم «المسيسيبي: نهر الأغنية»، وسلسلة سميتسونيان (Smitnsonian) حول موسيقا الجذور الأمريكية [وزعتها أركون ميديا (Arcon Media)]. وهو محرر كتاب «تاريخ التصوير الفوتوغرافي الياباني» [مطبعة جامعة ييل (Yale)، ٢٠٠٣].

تاكي ماساكازو (Takei Masakazu): محرر ورئيس شركة ليتل مور (Little More) في طوكيو. ولد في أوساكا (Osaka) في العام ١٩٦١. أسس وهو في الثامنة والعشرين من عمره شركة ليتل مور، وهي شركة نشر وإنتاج متعدد الأجناس. أقام آخر مشروع له وهو مجلة فويل (Foil) ربع سنوية للفنون المرئية، في يناير من العام ٢٠٠٣.

حول الناشرين

ليتل مور (Little More): شركة نشر وإنتاج متعدد الأجناس. تأسست في طوكيو في العام ١٩٨٩. تنشر كتباً في مجالات واسعة، بما في ذلك القضايا الاجتماعية، والفنون، والأدب، والموسيقا. وسعت الشركة نطاق أنشطتها في السنوات الأخيرة لتشمل إنتاج الأفلام السينمائية، وتصميم الأزياء، وتصنيف السجلات.

يمكن الوصول إلى ليتل مور بالعنوان التالي:

3-3-24 Minami Aoyqma
Minato - Ku, Tokyo 104-0062 Japan
Phone: 81-3-3401
Fax: 81-3-3401-1052
E-mail: infor@littlemore.co.jp
Little More's home Page [in Japanese] is www.littlemore.co.jp

سيفن ستوريز بريس (Seven Stories Press): دار نشر مستقلة للكتب، مقرها مدينة نيويورك، وتوزع كتبها في جميع أنحاء الولايات المتحدة، وكندا، وإنكلترا، وأستراليا. تنشر أعمال الخيال لكتاب مثل نيلسون ألغرين (Nelson Algren)، وأكتافيا إي. بتلر (Octavia E. Butler)، وآسيا جيبار (Assia Djebar)، وأرئيل دورفمان (Ariel Dorfman)، ولي سترينغر (Lee Stringer)، وكورت فونيفوت (Kurt Vonnegut)، وهذا

غيض من فيض، إضافة إلى عناوين سياسية، صادرة عن أصوات الضمير، بما في ذلك «تعاونية الكتب الصحية لنساء بوسطن»، و«نعوم تشومسكي»، ورالف نادر، وبروجيكت سينسرد (Project Sensored)، وباربارة سيمان (Barbara Seaman)، وغاري ويب (Garry Webb)، وسبكوماندانت ماركوز (Suhcomandante Marcos)، وهوارد زن (Howard Zinn)، وآخرون غيرهم. وتُخرج كتبنا بأغلفة قاسية (تجليد فني)، وبأغلفة ورقية، وعلى هيئة كُتيّبات، وكتب إلكترونية (على الإنترنت) بالإنكليزية والإسبانية. نؤمن بأن الناشرين يتحملون مسؤولية خاصة للدفاع عن الكلام الحر وحقوق الإنسان حيثما نستطيع.

سيفن ستوريز بريس هي الدار التي تنشر أوبن ميديا سيريز (Open Media Series) كذلك، وهو مشروع نشر موجه بالحركة تأسس في العام ١٩٩١ لمعارضة «حرب الخليج». وبتوجيه من المؤسس المشارك الأساسي، تستمر السلسلة بإصدار عناوين نقدية واسعة الانتشار تركز على سياسة الولايات المتحدة، والديمقراطية، والسلام، والعدالة الاجتماعية.

يمكن زيارة موقع سيفن ستوريز بريس على شبكة الإنترنت للحصول على آخر المعلومات وأحدثها واستكمال قائمة جميع العناوين المتوافرة: www. Seven Stories.com.

POWER AND TERROR
Al-Qūwah wa-al-Irhāb
by: Noam Chomsky
tr.: Ibrāhīm al-Shihābī

((أنا موجود هنا [في أميركا] لأن بعض المتعصبين الدينيين الأصوليين من إنكلترا، جاؤوا إلى هنا وبدؤوا بإبادة السكان المحليين، ثم جاء من بعدهم من تولى إبادة من تبقى منهم.. لم يكن الأمر شأناً صغيراً.. لقد أبادوا الملايين..)).

((عندما كنت صبياً، كنت ورفاقي نلعب لعبة رعاة البقر (الكاوبويز)، كنا نحن (الكاوبويز)، وكنا نقتل الهنود الحمر.. لم تكن لدينا أي فكرة أخرى تستهجن هذا الأمر.. لكن هذا لا ينطبق على أطفالي)).

((كل فرد قلق بشأن وقف الإرهاب. حسناً؛ ثمة طريقة سهلة جداً: توقفوا عن دعم الإرهاب، فذلك وحده كفيل بتقليص كمية الإرهاب في العالم وتلاشيه))

[الصفحات ٢٤-٢٧ من الكتاب]

نعوم تشومسكي



ISBN 1-59239-157-5
9 781592 391578